
مفاتح تدبر القرآن
والنجاح في الحياة
«عشرة مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل»

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اللاحم، عبد الكريم
مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة. / خالد عبد الكريم اللاحم .-
الرياض، ١٤٣٦هـ
١٩١ص، ١٤×٢٠سم
ردمك: ٧ ـ ٩٢ ـ ٨٠٣٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ القرآن ـ مباحث عامة   ٢ ـ القرآن ـ أحكام   أ. العنوان
ديوي ٢٢٩   ١٤٣٦/٦٤٧٩

الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
المركز الرئيسي ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥ ـ جنوب أسواق المجد
ت: ٤٤٥٦٢٢٩ ـ فاكس: ٤٩٦٢٠١٤ ـ ص.ب: ٥١٩٢٩ ـ الرياض ١١٥٥٣
الفروع ـ طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقاً) ت: ٢٣٢٢٠٩٥
مكة المكرمة ـ الجميزة ـ الطريق النازل للحرم ـ ت ٠١٢/٥٧٦١٣٧٧
المدينة النبوية ـ أمام الجامعة الإسلامية من جهة الجنوب ـ ت: ٠١٤/٨٤٦٧٩٩٩
حساب الدار في موقع تويتر: @Alminhajj

منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض
دعويات المنهاج (٩)

مفاتح تدبر القرآن

والنجاح في الحياة

«عشرة مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل»

تأليف
د. خالد بن عبد الكريم اللاحم
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع بالرياض





سَبَبُ تَأْلِيفِ الكِتَابِ

بعد إحدى المحاضرات سألني أحدُهم:

كيف يكونُ النجاحُ بالقرآن؟

فقُلتُ له: هذا سؤالٌ كبيرٌ، وخاصَّةً في هذه الأيَّامِ الَّتي فُتِنَ النَّاسُ فيها بهذا الفَنِّ مُستَنِدِينَ في مُعظَمِ طَرحِهِم على كُتُبِ حضاراتٍ غيرِ إسلاميَّةٍ.

وصارَ المُتَصَدِّرُ للحديثِ فيه لا يُسمَعُ لَهُ إلا إذا حَصَلَ على شهاداتٍ أو دَوْرَاتٍ هناكَ.

قلتُ له: هذا سؤالٌ كبيرٌ، وأَخشَى إنْ أَجَبْتُ عنه إجابةً سريعةً أن أُسِيءَ إلى القُرآنِ، فلا بُدَّ منَ البيانِ المتكامِلِ الواضحِ الَّذي يَربِطُ المفاهيمَ والمصطلحاتِ

بالواقِعِ، ويُوَضِّحُ أنَّ الأصلَ في تحقيقِ النَّجاحِ هو القُرآنُ الكريمُ، كلامُ رَبِّ العالمينَ، وما عداهُ: فإمَّا أن يكونَ تابِعًا له، وإلا فهو مَرفُوضٌ.

كان هذا السؤالُ هو سببَ تأليفِ هذا الكتابِ، الَّذي حاولتُ فيه أن أُبَيِّنَ كيفيَّةَ تحقيقِ القُوَّةِ والنَّجاحِ بمفهومِهِ الشَّامِلِ المتكامِلِ لكُلِّ طبقاتِ المجتمعِ ولجميعِ جوانبِ حياتِهِم.






مُقَدِّمَةُ الكِتَابِ

• افْتِتَاحِيَّة:

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُهُ، ونَستَعِينُهُ، ونَستَغفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنَا وسَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، من يَهْدِهِ اللهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِلْ، فَلَا هادِيَ له، وأَشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأَشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ ورسولُهُ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصَحبِهِ وسلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه مسائلُ تحتاجُ إلى بيانٍ وإيضاحٍ قبلَ الدُّخولِ في موضوعِ الكتابِ، وهي متداخلةٌ فيما بَينَهَا، لَكِنَّ كُلَّ مسألةٍ تُبَيِّنُ جهةً مِنَ المعنَى المرادِ تَوضِيحُهُ وإبرازُهُ، وبعضُها مسائلُ كبيرةٌ، لكنْ لا بُدَّ من ذِكرِهَا هنا، فكانَ عَرضُهَا بإيجازٍ شديدٍ يَتناسَبُ مع المقامِ.

المَسْأَلَةُ الأُولى: الطَّريقُ إلى النَّجاحِ في الحياةِ[(١)]:

إنَّ الوسيلةَ الأُولَى لإصلاحِ النَّفْسِ وتزكيةِ القَلبِ والوقايةِ منَ المشكلاتِ وعلاجِهَا هو العِلمُ.

ووسيلتُهُ الأُولَى: القراءةُ والكِتابُ؛ لذلكَ نَجِدُ أنَّ اللهَ ﷻ لمَّا أرادَ هِدايةَ الخَلقِ، وإخراجَهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ـ: أَنزَلَ إلَيهِم كتابًا يُقرَأُ، وأوَّلُ سورةٍ نَزَلَتْ منه بَدَأَتْ بكلمةٍ عظيمةٍ هي مِفتاحُ الإصلاحِ لكلِّ النَّاسِ، مَهمَا اختَلَفَتِ الأزمانُ وتبايَنَتِ البُلدان؛ إنَّها: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

وعليه: فمَن أرادَ النَّجاحَ، وأرادَ الزَّكاةَ والصَّلاحَ، فلا طريقَ له سِوَى القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ قراءةً، وحِفظًا، وفِقهًا.

إنَّ الإحالةَ على كتابٍ يُقرَأُ ويُفهَمُ ويُطَبَّقُ هي الطريقةُ العمليَّةُ لتحقيقِ التَّطويرِ والرُّقِيِّ والنَّجاحِ في جميعِ مجالاتِ الحياةِ.

إنَّ القراءةَ حياةُ الإنسانِ، فمَن قَرَأَ كَثِيرًا، عاشَ

---

(١) تفصيل الكلام في هذه المسألة والتي تليها خُصِّصَ له بحث مستقلٌّ بعنوان: «القرآن والنجاح».

كَبِيرًا، ومَن قَرأَ أَكْثَرَ، كانَ أَكبَرَ، ومَن أرادَ أن يَرقَى، فعليه أن يَقْرَأَ.

ولكن ليست أيَّةَ قراءةٍ، بلِ القراءةُ التَّربويَّةُ، الَّتي يَتِمُّ ـ بعَونِ اللهِ تعالى ـ توصيفُهَا في هذا الكتابِ من خلالِ عَرضِ مفاتيحِ التَّدبُّرِ العَشَرةِ.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: سببُ الفَشَلِ في الحياةِ:

يُبيِّنُ اللهُ تعالى بإيجازٍ ووُضوحٍ أنَّ سَبَبَ فَشَلِ النَّاسِ في الحياةِ هو ضَعفُ الإرادةِ، النَّاشئُ عنِ النِّسيانِ؛ فيَقُولُ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]:

فالإنسانُ في حالِ الشِّدَّةِ والكُربَةِ يَحصُلُ عندَهُ العِلمُ بـ «**لا إلٰه إلا الله**»، ويَحصُلُ منه التَّوحِيدُ والإخلاصُ، ويوجدُ عندَهُ الحِرصُ على الخَيرِ والنَّفعِ بتلقائيَّةٍ وسهولةٍ،

لكنْ ما إنْ يَزُولُ هذا المؤثِّرُ المؤقَّتُ حتَّى يتلاشَى هذا العِلمُ، فيَنسَى الإنسانُ ويعودُ إلى كُفرِهِ وشِركِهِ، ويعودُ إلى ما يَضُرُّهُ ممَّا تَهوَاهُ نَفسُهُ، ويَصعُبُ عليه ما لا تَهواهُ نَفسُهُ ممَّا فيه نَفعُهُ وهو بِأَمَسِّ الحاجةِ إلَيهِ.

الفَشَلُ سببُهُ ضَعفُ الإرادةِ، وضَعفُ الإرادةِ سَبَبُهُ النِّسيانُ.

الإرادةُ ثلاثةُ أنواعٍ؛ هِيَ: الحُبُّ، أو الخَوفُ، أو الرَّجَاءُ؛ فمَتَى وُجِدَ أحدُهَا، وُجِدَتِ الإرادةُ، ومَتَى تَخَلَّفَتْ جميعُها، تَخلَّفَتِ الإرادةُ، فإذا أَرَدْنَا قُوَّةَ العزيمةِ وعُلُوَّ الهِمَّةِ، فإنَّ هذا يَحصُلُ بتَقوِيَةِ هذه الجوانبِ النَّفسِيَّةِ الثَّلاثةِ لِكُلِّ ما يُرادُ تَنفِيذُهُ وتَحقِيقُهُ.

والعِلمُ درجاتٌ ومراتِبُ، فلا يَكفِي مَثَلًا العِلمُ بأنَّ هذا الشَّيءَ ضَارٌّ لِيُوجَدَ الخَوفُ مِنهُ والابتِعادُ عَنهُ، أو أنَّ هذا الأَمْرَ نَافِعٌ لِتَحصُلَ الرَّغبَةُ فيهِ، بل يَجِبُ العِلمُ التَّفصِيلِيُّ القَوِيُّ الحاضرُ، فمَثَلًا: كلُّ المدخِّنِينَ - بلا استثناءٍ - يَعلمونَ أنَّ التَّدخِينَ ضَارٌّ بصِحَّتِهِم، وأنَّهُ خَطَرٌ على حياتِهِم؛ لكنَّهُ عِلمٌ سَطحِيٌّ ضعيفٌ هَشٌّ، لا يُقاوِمُ الرَّغبةَ الجامحةَ في استعمالِهِ.

وكلُّ طالبٍ يَعلَمُ أنَّ أمامَهُ امتحانًا، وأنَّهُ بحاجةٍ إلى

استذكارِ دروسِهِ؛ لكي ينجحَ ويتفوَّقَ، ومع هذا يَحصُلُ من كثيرٍ مِنهُمُ الإهمالُ والتَّقصِيرُ.

وكلُّ مُسلِمٍ يَعلَمُ أنَّهُ سَيَمُوتُ، وأنه محاسَبٌ على أعمالِهِ، لكنَّهُ عِلمٌ سَطحِيٌّ ضَعِيفٌ مَهزُوزٌ، لا يَكفِي لوُجودِ الإرادةِ لفِعلِ الخَيرَاتِ وتَركِ المُنكَرَاتِ.

وقُلْ مِثلَ هذا الكلامِ في جميعِ أُمورِ الحياةِ.

فالمتأمِّلُ في واقعِ النَّاسِ والمحلِّلُ لشَخصِيَّاتِهِم وسُلوكِهِم ـ: يُلاحِظُ أنَّهُ ما من مشكلةٍ إلا وأساسُها ضَعفُ الإرادةِ: ضَعفُ الرَّغبةِ، أو ضَعفُ الرَّهبَةِ؛ لأنَّهُ إن لم توجَدِ الإرادةُ، فلن يَتناوَلَ المريضُ الدواءَ حتَّى لو أُكرِهَ عَلَيهِ، بَينَما لو وُجِدَتِ القَناعَةُ والرَّغبَةُ، فإنَّكَ تَراهُ يَبذُلُ جُهدَهُ لتَحصِيلِهِ، ثُمَّ تناوُلِهِ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَعرَكَةُ الحياةِ:

يجبُ أن نَعلَمَ عِلمَ اليقينِ أنَّ للشَّيطانِ أَثَرًا على إرادةِ الإنسانِ؛ فهو يُثَبِّطُهُ عنِ الخَيرِ وعمَّا يَنفَعُهُ، ويَدفَعُهُ إلى الشَّرِّ وما يَضُرُّهُ؛ من أَجْلِ ذلكَ فإنَّ مُهِمَّةَ مُعالجةِ الإرادةِ تحتاجُ إلى جُهدٍ مضاعَفٍ إذا عَلِمْتَ أنَّ ثَمَّةَ مَن يُؤَثِّرُ

عَلَيها، فالشَّيطانُ يُمكِنُهُ ـ بواسطةِ سلاحِ الوَسوَسَةِ(١) ـ أن يُؤَثِّرَ على تَصرُّفاتِ الإنسانِ وسُلوكِهِ؛ فيأمُرُهُ وينهاهُ، ويُزَيِّنُ له، ويُثَبِّطُهُ، ويُحَرِّكُ جميعَ جوارِحِهِ؛ من خلالِ مَركَزِ التَّحكُّمِ (القَلبِ)، فيُمكِنُهُ مَثَلًا أن يُزَيِّنَ له ما يكونُ سَبَبًا في مَرَضِهِ النَّفسِيِّ أوِ البَدَنِيِّ أو مَوتِهِ.

إنَّ الصِّراعَ بينَ الشَّيطانِ والإنسانِ بَدَأَ منذُ بدايةِ خَلقِ آدمَ؛ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٦ ـ ١١٧]، ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، فالشَّيطانُ عَدُوٌّ للإنسانِ؛ يُوَسْوِسُ له على مدارِ السَّاعةِ، لا يَمَلُّ ولا يَفتُرُ،

(١) ورد ذِكر وسوسة الشيطان في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، وفي قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، من يَقرأُ هذه الآيات، يُدرِكْ أن سلاحَ إبليسَ في إغوائه لآدم كان الوسوسةَ، وما زال من تلك اللحظة إلى قيام الساعة يُوسوِسُ للناس ليُغْوِيَهُم أجمعين.

يَتَمَنَّى له الشَّرَّ، ويَحسُدُهُ على كُلِّ خيرٍ؛ كما قالَ تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

إذًا أنتَ في هذه الحياةِ أمامَ عَدُوٍّ حقيقيٍّ، أَكَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكَ عَداوَتَهُ في مواضِعَ كثيرةٍ من كتابِهِ المُبينِ؛ من ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢]، وقالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقد قَطَعَ الشَّيطانُ على نَفْسِهِ العَهْدَ في حَسَدِ بَنِي آدَمَ، ومحاولةِ حِرمانِهِم من كُلِّ خيرٍ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

فما الَّذِي يَحمِينا من عداوةِ الشَّيطانِ؟ وما سِلاحُ الإنسانِ في معركةِ الحياةِ؟

الجوابُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]؛ فسِلَاحُ الإنسانِ في هذه المعركةِ هوَ الهُدَى الَّذي أَنزَلَهُ على رُسُلِهِ، هوَ هذا القرآنُ الَّذي بَيْنَ أيدِينا، لكن لَيسَ كُلُّ أَحَدٍ يُمكِنُهُ أن يَستَخْدِمَهُ ويُحَقِّقَ به النَّصْرَ، ليسَ ذلكَ إلَّا لِمَنْ أَخَذَ بالأسبابِ، واقْتَدَى بالنَّبيِّ ﷺ وصَحابَتِهِ ﷺ في تَعامُلِهِم معَ القُرآنِ، وهو ما سَيَتِمُّ بيانُهُ في هذا الكتابِ، أمَّا مَن فَرَّطَ وقَصَّرَ، فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ، ولْيَعْلَمْ مِن أَينَ أُتِيَ، وما سَبَبُ نَقْصِهِ وفَشَلِهِ في هذه الحياةِ.

❁ المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: القِيامُ بالقُرآن، الطَّرِيقُ إلى الإيمان:

لو تَأَمَّلْنا حالَ النَّاجِحِينَ في الحياةِ بَدْءًا مِنَ النَّبيِّ ﷺ وانتِهَاءً بالمعاصِرِينَ مِنَ الصَّالِحِينَ، لَوَجَدْنَا أنَّ القاسِمَ المُشْتَرَكَ بَينَهُم هو القِيامُ بالقُرآنِ وفي صلاةِ اللَّيلِ خَاصَّةً، والعَمَلَ المُتَّفَقَ عليه عِندَهُم، الَّذي لا يَرَوْنَ التَّهاوُنَ به على أيِّ حالٍ هو الحِزبُ اليَومِيُّ مِنَ القُرآنِ[١]؛ عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ**

(١) للوقوف على أخبار هؤلاء ودراسة أحوالهم، يمكن الرجوع إلى كتاب: «رهبان الليل»، للسيد حسين العفَّاني.

الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)[١]؛ إِنَّهُ الحِرصُ على عدمِ فواتِهِ مَهمَا حَالَتْ دُونَهُ الشواغِلُ، أوِ اعتَرَضَتْهُ العَوارِضُ؛ لأنَّهُم يعلمونَ يَقِينًا أنَّ هذا هو غذاءُ القَلبِ؛ الَّذي لا يَحيَا بدونِهِ، إنَّهُم يَحرِصُونَ على غذاءِ القَلبِ قَبلَ غذاءِ البَدَنِ، ويَشعُرُونَ بالنَّقْصِ مَتَى حَصَلَ شَيءٌ مِن ذَلِكَ، بِعَكسِ المُفرِّطِينَ الَّذِينَ لا يَشعُرُونَ إلا بجُوعِ أبدانِهِم وعَطَشِهَا، أو مَرَضِهَا وأَلَمِهَا، أمَّا أَلَمُ القُلُوبِ وعَطَشُهَا وجُوعُهَا، فلا سَبِيلَ لَهُمْ إلى الإحساسِ بِهِ.

❁ إنَّ قراءةَ القُرآنِ في صلاةِ اللَّيلِ هيَ أَقوَى وَسِيلَةٍ لبقاءِ التَّوحِيدِ والإيمانِ غَضًّا طَرِيًّا نَدِيًّا في القَلبِ.

إنَّها المُنطَلَقُ إلى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ آخَرَ؛ من صيامٍ، أو صدقةٍ، أو جهادٍ، وبِرٍّ وصِلَة.

إنَّ تدبُّرَ القُرآنِ يُحقِّقُ لكَ التَّوحِيدَ، والإخلاصَ، والاستِكَانَةَ، والتَّضرُّعَ، والعبوديَّةَ للهِ رَبِّ العالَمِينَ.

❁ المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: القيامُ بالقُرآنِ الطَّرِيقُ إلى القُوَّةِ:

لـمَّا أرادَ اللهُ ﷻ تكليفَ نَبِيِّهِ محمَّدٍ ﷺ بواجبِ التَّبلِيغِ والدَّعوةِ، وهو حِمْلٌ ثَقِيلٌ جِدًّا؛ وَجَّهَهُ إلى ما يُعِينُهُ

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥١٥)، (ح٧٤٧).

عليهِ؛ وهو القيامُ بالقُرآنِ؛ فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ١ ـ ٧].

جاءَ سعدُ بنُ هِشَامِ بنِ عامرٍ إلى عائشةَ ﵂ يَسألُها عن قيامِ النَّبيِّ ﷺ؛ فقالَ: «أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؟! قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ ﷯ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ؛ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»(١).

فلماذا فُرِضَ هذا القيامُ؟ وبهذه الكَيفِيَّةِ، والكَمِّيَّةِ، وبهذه المُدَّةِ؛ سَنَةً كامِلَةً؟ إنَّهُ الإعدادُ والتَّكوِينُ والصِّناعَةُ لأُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذينَ كُلِّفُوا بتَبلِيغِ الدَّعوةِ وحَملِ الرِّسالةِ.

إنَّ الجِيلَ الَّذي يُحقِّقُ النَّصرَ للأُمَّةِ جاءَ وَصفُهُ في

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٠٤).

آخرِ آيةٍ من (سورةِ الفَتح)؛ في قَولِهِ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، فمَتَى تحقَّقَ هذا الجِيلُ في الأُمَّةِ، تَحقَّقَ لها بإذنِ اللهِ تعالى النَّصْرُ والتَّمكِينُ والسَّيطَرَةُ على العالَم، وكانت أُمَّةً قَوِيَّةً، تَهابُهَا كُلُّ الأُمَمِ وتُذعِنُ وتَخضَعُ لَهَا.

لقد أُصِيبَ بعضُ المسلِمينَ بالشُّعورِ بالنَّقصِ والضَّعفِ وهو يُشاهِدُ واقِعَ العالَمِ كُلَّ يومٍ، وما ذاكَ إلا بسَبَبِ هَجرِهِ للقُرآنِ وبُعدِهِ عن فِقهِ مَعانِيهِ العظيمةِ.

❁ المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: القُرآنُ كتابُ النَّجاحِ والسَّعادَةِ:

كَثُرَ في زمانِنَا هذا الحديثُ عنِ النَّجاحِ، والسَّعادةِ، والتَّفوُّقِ، والقُوَّةِ، وكَثُرَتْ فيه المؤلَّفَاتُ، وكُلٌّ يَرَى أنَّ في كتابِهِ أو برنامجِهِ الدَّوَاءَ الشَّافِيَ، والعلاجَ النَّاجِعَ، وأنَّهُ الكتابُ الَّذِي لا تحتاجُ معَهُ إلى غيرِهِ، والحَقُّ أنَّ هذا الوَصْفَ لا يجوزُ أن يُوصَفَ به إلَّا كتابٌ واحِدٌ هو القُرآنُ الكريمُ.

ولعلاجِ هذه المشكلةِ ـ **أَعنِي**: انْصِرَافَ النَّاسِ عنِ

القُرآنِ الكريم، واشتِغَالَ بَعضِهم بتِلك المؤلَّفاتِ بَحثًا عنِ السَّعادةِ والنَّجاحِ ـ صِيغَ هذا البحثُ لِيُسْهِمَ في تَبْيينِ الحقائقِ وتَوضِيحِ الدَّقَائِقِ، ورَسم الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ للمَنهَجِ السَّلِيمِ الَّذي يَنبَغِي أن يَتَّبِعَهُ المُسلِمُ في حياتِهِ.

✿ المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: مُدَارَسَةُ القُرآنِ تَزِيدُ الإيمانَ:

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ **قَالَ**: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ؛ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[(١)].

فمَهمَا كانت مَرتَبَةُ المؤمنِ في الإيمانِ، ومَهمَا كانت قوَّةُ إيمانِهِ، فإنَّ مُدَارَسَتَهُ القُرآنَ تَزِيدُهُ إيمانًا، وتَرفَعُ مقامَهُ عندَ ربِّ العالمينَ، فهذا محمَّدٌ ﷺ ـ وهو أجوَدُ النَّاسِ بالخيرِ ـ يَتَضاعَفُ جُودُهُ بسَبَبِ مُدَارَسَتِهِ القُرآنَ مع جبريلَ عليه السلام؛ فكُلَّما قَوِيَ ارتباطُ المؤمنِ بالقُرآنِ علا وارتَفَعَ، وزادَ يَقِينُهُ وثِقَتُهُ بربِّهِ عز وجل.

(١) صحيح البخاري: (١/ ٧).

۞ المَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ: بدايةُ الانطلاقِ:

إنَّ العَبدَ إذا تَعَلَّقَ قَلبُهُ بكتابِ ربِّهِ فأَيقَنَ أنَّ نجاحَهُ ونجاتَهُ وسعادتَهُ وقُوَّتَهُ في قراءتِهِ وتدبُّرِهِ، كانت هذه البدايةَ للانطلاقِ في مراقي النَّجاحِ، وسُلَّمِ الفَلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ.

۞ المَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ: الطَّرِيقُ إلى كُنُوزِ القُرآنِ:

هذا البَحثُ يَتَحَدَّثُ عنِ الوسائلِ العمليَّةِ الَّتي تُمَكِّنُ ـ بعَونِ اللهِ تعالى ـ من الانتفاعِ بالقُرآنِ الكريمِ، وهذه القواعدُ هي الَّتي كانَ يَسلُكُهَا سلفُنَا الصَّالحُ في تعامُلِهِم مع القُرآنِ الكريمِ، وبسَبَبِ غفلةِ الكثيرينَ عنها أو عن بَعضِهَا أَصبَحُوا لا يتأَثَّرُونَ ولا يَنتَفِعُونَ بما فيهِ منَ الآياتِ والعِظَاتِ، والأمثالِ والحِكَمِ.

ومَن أَخَذَ بهذهِ الوسائلِ، وَجَدَ ـ بإذنِ اللهِ تعالى ـ أنَّ معانِيَ القُرآنِ تَتَدَفَّقُ عليهِ؛ حتَّى رُبَّمَا يَمضِي علَيهِ وَقتٌ طويلٌ لا يَستَطِيعُ تجاوُزَ آيةٍ واحدةٍ بسَبَبِ كثرةِ المعانِي الَّتي تُفتَحُ عليهِ، وقد حَصَلَ هذا للسَّلَفِ من قَبلِنَا، والأخبارُ في هذا كثيرةٌ مَشهُورَةٌ.

المَسْأَلَةُ العَاشِرَةُ: القُرآنُ ظاهِرٌ وبَاطِنٌ:

القُرآنُ ظاهرٌ وباطنٌ؛ ظاهرٌ يَرَاهُ كُلُّ النَّاسِ وهو صُوَرُ الحُرُوفِ والسُّطورِ الَّتي كُتِبَتْ على صفحاتِ المُصحَفِ الَّذِي يُباعُ في كُلِّ مَكانٍ، ويراهُ كُلُّ النَّاسِ؛ مُسلِمٌ وكافرٌ، مؤمنٌ ومنافقٌ، بَرٌّ وفاجرٌ، صغيرٌ وكبيرٌ، وله باطنٌ لا يراهُ إلا المؤمنون الَّذينَ آمَنُوا بأنَّهُ كلامُ اللهِ، وآمَنُوا بضرورةِ قراءتِهِ والقيامِ به؛ فغاصُوا في أعماقِ معانِيهِ.

إنَّ مَثَلَ القُرآنِ كمَثَلِ البَحرِ؛ له ظاهرٌ مِثلُ سَطحِ البَحرِ، وله بَاطِنٌ هو مِثلُ أَعماقِ البَحرِ، فبَعضُهُم قد يَسبَحُ على ظَهرِ البَحرِ من عَدَنَ إلى العَقَبَةِ، **ثمَّ يقولُ**: أَينَ الكُنُوزُ الَّتي تُحقِّقُ الثَّراءَ في الحياةِ؟ لم أَجِدْهَا! **فنَقُولُ**: الأمرُ يحتاجُ إلى غَوَّاصٍ وأدواتِ غوصٍ، ولا يَصِلُ إلَيهَا مَنِ اكْتَفَى بالسِّبَاحَةِ على ظَهرِ البَحرِ حتَّى لو أَفْنَى عُمُرَهُ كُلَّهُ.

قالَ سَهلُ بنُ عَبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ: «لو أُعطِيَ العَبدُ بكُلِّ حَرفٍ مِنَ القُرآنِ أَلْفَ فَهْمٍ، لم يَبْلُغْ نِهايَةَ ما أَوْدَعَ اللهُ في آيةٍ من كتابِهِ؛ لأنَّهُ كلامُ اللهِ، وكلامُهُ صِفَتُهُ، وكما أنَّهُ ليسَ للهِ نهايةٌ؛ فكَذَلِكَ لا نهايةَ لفَهمِ كلامِهِ... وإنَّما يَفهَمُ كُلٌّ بمقدارِ ما يَفتَحُ اللهُ على قَلبِهِ، وكلامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ،

ولا يَبلُغُ إلى نهايةِ فَهمِهِ فُهُومٌ مُحْدَثَةٌ مَخلُوقَةٌ»[١].

وهذا كلامٌ صَحِيحٌ، والتَّجرِبَةُ والواقعُ يَشهَدَانِ بذَلِكَ؛ فإنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ في فَهمِهِم وإدراكِهِم لآياتِ القُرآنِ الكريمِ، وتَنزِيلِهَا على أُمُورِ حياتِهِم.

❁ المَسْأَلَةُ الحادِيَةَ عَشرَةَ: التَّدرِيبُ والمُجَاهَدَةُ:

إنَّ فَهمَ القُرآنِ وتَدَبُّرَهُ مَوَاهِبُ مِنَ الكريمِ الوَهَّابِ، يُعطِيهَا لِمَنْ صَدَقَ في طَلَبِهَا، وسَلَكَ الأسبابَ المُوَصِّلَةَ إلَيهَا بِجِدٍّ واجتِهَادٍ، أمَّا المُتَّكِئُ على أَرِيكَتِهِ، المُشْتَغِلُ بشَهَواتِ الدُّنيا ويُرِيدُ فَهْمَ القُرآنِ فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! ولو تَمَنَّى على اللهِ الأَمانِيَّ.

مادَّةُ هذا البَحثِ لَيسَتْ مَجمُوعَةَ نَظَرِيَّاتٍ أو فروضٍ تُوضَعُ حُلُولًا للمُشكلةِ المرادِ عِلَاجُهَا، إنَّما هي خُطُوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ، تحتاجُ إلى تَدَرُّجٍ وتَكرَارٍ حتَّى يَصِلَ المتعلِّمُ فيها إلى ما وُصِفَ من نتائِجَ وثِمَارٍ.

قالَ ثابتُ البُنَانِيُّ: «كَابَدتُّ القُرآنَ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ تَنَعَّمْتُ بِهِ عِشْرِينَ سَنَةً»؛ وما قالَهُ ثابِتُ البُنَانِيُّ حَقٌّ،

---

(١) مقدمة التفسير البسيط، للواحدي (رسالة دكتوراه): (١/ ٣٤).

فأَدمِنِ الوُقُوفَ عِندَ البَابِ حتَّى يُفتَحَ لَكَ؛ إن كُنتَ تُدرِكُ عَظَمَةَ ما تَطلُبُ؛ فإنَّهُ مَتَى فُتِحَ لَكَ، دَخَلْتَ إلى عالَمٍ لا تَستَطِيعُ الكَلِمَاتُ أن تَصِفَهُ ولا العباراتُ أن تُصَوِّرَ حَقِيقَتَهُ.

أمَّا إنِ استَعْجَلْتَ وانْصَرَفْتَ فستَحْرِمُ نَفسَكَ من كَنزٍ عظيمٍ وفُرصَةٍ قد لا تُدرِكُها فيما بَقِيَ من عُمُرِكَ.

تذكَّرْ أنَّ السَّفِينَةَ لا تَجرِي على اليَبَسِ، وأنَّ المَكارِمَ لا تُنَالُ إلَّا بالمَكَارِهِ، وأنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بالمَكَارِهِ؛ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

إنَّ القُرآنَ هو طَوقُ النَّجاةِ في هذه الحياةِ، وهو حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ(١) وطَرَفُهُ بِيَدِكَ؛ يَقُولُ اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]؛ فمَتَى أَرَدتَّ أن تَدخُلَ في رحمةِ اللهِ وأنْ تُهدَى إلى الصِّراطِ

---

(١) عن جُبَيرِ بن مُطعِم رضي الله عنه؛ قال: «كنَّا مع رسول الله ﷺ بالجُحْفَةِ، فخرج علينا، فقال: (أَلَيسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ القُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟!)، قُلنا: نعم، قالَ: (فَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَلَا تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا)»؛ المعجم الكبير: (٢/١٢٦).

المستقيم فجَاهِدْ نَفسَكَ في تدبُّرِ القُرآنِ الكريمِ، وفَرِّغْ وَقتَكَ وجُهدَكَ، ورَكِّزِ اهتمامَكَ على هذا الأمرِ العظيمِ.

كم من أشخاصٍ لم يكن لهم شَأنٌ يُذكَرُ، وبعدَ اجتهادِهِم في تدبُّرِ القُرآنِ صارَتْ لهم مكانةٌ ومنزلةٌ رفيعةٌ عندَ اللهِ تعالى، وصارَ لهم في الحياةِ أثرٌ كبيرٌ وشأنٌ عظيمٌ!

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةَ عشَرَة: تَفْسِيرٌ أَم تَدَبُّرٌ:

كنتُ أحاولُ كتابةَ تفسيرٍ تربويٍّ للقُرآنِ الكريمِ؛ يُركِّزُ في مضمونِهِ على ما يُقوِّي الإيمانَ ويَزِيدُ الخُشوعَ، دونَ استطرادٍ أو خروجٍ عن هذا المَسارِ، ولكن بعدَ أن بدأتُ بالاشتراكِ مع الأخِ الدكتورِ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ الدوسريِّ بوضعِ منهجٍ لهذا التَّفسيرِ، وتمَّتْ كتابةُ المرحلةِ النَّظريَّةِ للبَحثِ، وبعد محاولةِ كتابةِ القسمِ التَّطبيقيِّ له، تَبيَّنَ لي أنِّي مَهمَا كتبتُ، أو كَتَبَ غَيري في هذا الميدانِ، فلن يُحقِّقَ المطلوبَ، **والصَّوابُ في هذا الأمرِ**: أنَّ كُلَّ إنسانٍ لا بُدَّ أن يَغرِفَ منَ المَصَبِّ الرَّئيسِ، وأن يَنهَلَ مِنَ النَّبعِ مباشرةً، دونَ أيَّةِ واسطةٍ تُبعِدُهُ عنِ المقصودِ[١].

(١) وهذا في جانب تزكية القلوب، وتربية النفوس، أما الجوانب =

تبيَّنَ أنَّ ما أَبحَثُ عنه هو مَنهَجٌ وقواعِدُ لقراءةِ القُرآنِ الكريمِ والتَّأثُّرِ والانتفاعِ به مباشرةً، فتأَمَّلْتُ حالَ السَّلَفِ ـ رَحِمَهُمُ الله ـ في هذا الأمرِ، ودَرَسْتُ منهجَهُم في تعامُلِهم معه، وقارَنْتُ بينَ حالِنَا وحالِهِم، فكانت مادَّةُ هذا البَحثِ ومُحتواهُ.

إنَّ النَّجاحَ في مفاتيحِ تدبُّرِ القُرآنِ مُتطَلَّبٌ سابقٌ للاستفادةِ من قراءةِ التَّفاسِيرِ، والانتفاعِ بما فيها، والقُدرةِ على الغَوصِ في أعماقِهَا، ورَبْطِ فوائدِهَا بالحياةِ.

❁ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةَ عشرَةَ: مِحْوَرُ هذا البَحثِ:

نحنُ نُؤمِنُ ونُصدِّقُ بقولِ اللهِ تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ونقرأُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقولَهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ

= الأخرى من القرآن؛ كالأحكام مثلًا، فيحتاج القارئ معها إلى ما يفصِّلها ويوضِّحها.

أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فهذا هو القُرآنُ، ونحنُ نقرَؤُهُ، ولكن ما أخبَرَ اللهُ تعالى عنه من تأثيرٍ فإنَّنا لا نَجِدُهُ! فلماذا؟

القُرآنُ هو القُرآنُ، وقد وَصَلَ والحَمدُ للهِ إلَينا محفوظًا تامًّا مَصُونًا سالمًا مِنَ الزِّيادةِ والنَّقصِ.

أينَ الخَلَلُ؟ وأينَ المشكلةُ؟

في كُلِّ تأثيرٍ عِندَنَا ثلاثةُ أركانٍ: المُؤَثِّرُ، والمُتَأَثِّرُ، والمُوَصِّلُ.

فالمُؤَثِّرُ ـ وهو القُرآنُ ـ أَثَرُهُ ثابتٌ لا نَشُكُّ فيهِ.

بَقِيَ الاحتمالُ في الأمرَينِ الأخيرَينِ: المُوَصِّلُ، والمتأثِّرُ:

المُوَصِّلُ: هو القراءةُ والتَّدبُّرُ.

والمتأثِّرُ: هو قَلبُ المُتَلَقِّي القَارِئِ.

والبَحثُ يحاولُ استكشافَ الخَلَلِ في الجهتَينِ، ويَقترِحُ الحلولَ المَبْنِيَّةَ على تجارِبِ النَّاجِحِينَ في تحصيلِ التَّأثيرِ والأثرِ.

أيضًا: حالةُ الفَتحِ والفَهمِ في وَقتٍ وإغلاقِهِ في وَقتٍ

آخَرَ - وقد تَسمَعُ الشَّكْوَى من هذه الحالِ عندَ عددٍ مِنَ الأشخاصِ - تَقرَأُ الآيةَ في وَقتٍ فتَتَأَثَّرُ بها، وتَنْفَتِحُ لَكَ فيها معانٍ، ثُمَّ تعودُ إلَيهَا بعدَ وقتٍ، فَتَقِفُ أمامَهَا لا تَذكُرُ شَيْئًا من تِلكَ المعانِي ولا تُحِسُّ بذلكَ الأثرِ الَّذي حَصَلَ سابِقًا! فما السِّرُّ؟ وما الأسبابُ؟

هذا ما تحاولُ هذه الدِّرَاسَةُ أن تُجِيبَ عَنهُ، وتُشَخِّصَهُ، وتَصِفَ له العلاجَ المناسِبَ بإذنِ اللهِ تعالى.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةَ عَشَرَةَ: المفاتِيحُ أسبابٌ، والنَّتَائِجُ بِيَدِ اللهِ وَحدَهُ:

إنَّ ممَّا يَتأكَّدُ التَّنبِيهُ عليه عدمَ قَصرِ وحَصرِ النَّجاحِ في تدبُّرِ القُرآنِ على هذه المفاتيحِ؛ فما هي إلا أسبابٌ، والنَّتائجُ بيدِ اللهِ تعالى يُعطِيهَا مَن شاءَ ويَمنَعُها مَن شاءَ، وما أقولُهُ إنْ هو إلَّا وسائلُ بحَسَبِ الاستقراءِ مِنَ النُّصوصِ وحالِ السَّلَفِ، وهي أسبابٌ يَسلُكُها كُلُّ مريدٍ للانتفاعِ بالقُرآن بشَكلٍ أكبَرَ وأعمَقَ وأشمَلَ، وهي أسبابٌ نُذَكِّرُ بها مَن حُرِمَ مِن تدبُّرِ القُرآنِ وهو يُرِيدُهُ؛ **نقولُ له**: اسْلُكْ هذه الأسبابَ لَعَلَّ اللهَ إذا رأى مجاهدتَكَ في هذا الأمرِ، وعَلِمَ مِنكَ صِدقَكَ، أن يَفتَحَ لكَ خزائنَ كتابِهِ تَتنَعَّمُ بِهِ في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ.

۞ المَسْأَلَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: لِكُلِّ مِفتَاحٍ وَظِيفَةٌ:

فلا يَعنِي ـ مَثَلًا ـ إذا قُلنَا: مِن مفاتِيحِ تدبُّرِ القُرآنِ: أن تكونَ القراءةُ في لَيلٍ، أنَّ قراءةَ النَّهارِ لا تُفِيدُ أو أنَّها مُلغَاةٌ، وإذا قُلنَا: أن تكونَ القراءةُ في صلاةٍ؛ أنَّ القراءةَ خارِجَ الصَّلاةِ لا تُحقِّقُ التَّدبُّرَ، فالحَصرُ والقَصرُ غيرُ صحيحٍ، فلِكُلِّ مِفتاحٍ وظيفةٌ، مَتَى وُجِدَ، فَتَحَ لك درجةً في تدبُّرِ القُرآنِ، ومَتَى اجتَمَعَتْ كُلُّ المفاتيحِ وبأَعلَى مُستَوًى، كان التَّدبُّرُ أعلَى وأقوَى، وإذا تَخَلَّفَ بعضُهَا، نَقَصَ التَّدبُّرُ بحَسَبِ هذا النَّقْصِ.

۞ المَسْأَلَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: نَعِيمُ القُرآنِ:

يَقُولُ اللهُ تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، ويقولُ تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وقالَ ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]، هذه الآياتُ ـ وغيرُها كَثِيرٌ ـ دَلَّتْ على أنَّ القُرآنَ نِعمَةٌ، وأَعْظِمْ به من نِعمَةٍ! وكُلُّ نِعمَةٍ يَتْبَعُهَا نَعِيمٌ وتَنَعُّمٌ لِمَنْ عَرَفَ أنَّها حَقًّا نِعمَةٌ، فالتَّلَذُّذُ بالقُرآنِ(١) لِمَنْ فُتِحَتْ له أبوابُهُ لا يعادِلُهُ

---

(١) اعترف بذلك بعض الكفار؛ حين فتح لهم منه لحظات؛ ومن ذلك قول الوليد بن المغيرة: «إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً».

أيَّةُ لَذَّةٍ أو مُتعَةٍ في هذه الحياةِ، ولكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ.

المَسْأَلَةُ السَّابِعَةَ عشْرَةَ: خُلَاصَةُ البَحثِ:

يتكوَّنُ البَحثُ من تمهيدٍ وعَشرَةِ مَفاتِيحَ:

- **التمهيدُ**: في معنَى التدبُّرِ وعلاماتِهِ، وبيانِ خطأٍ في مفهومِهِ.

- **والمِفتاحُ الأوَّلُ**: خُلَاصتُهُ أنَّ القَلبَ آلَةُ الفَهمِ والعَقلِ والإدراكِ، وأنَّ القَلْبَ بيدِ اللهِ تعالى يُقَلِّبُهُ كيفَ شاءَ، يَفتَحُهُ مَتَى شاءَ، ويُقفِلُهُ مَتى شاءَ، **وفَتْحُ القَلبِ للقُرآنِ يكونُ بأَمرَينِ**: **الأوَّلُ**: دوامُ التَّضرُّعِ إلى اللهِ تعالى وسؤالِهِ ذلكَ، و**الثَّاني**: القراءةُ المُكَثَّفَةُ عن عَظَمَةِ القُرآنِ، وحالِ السَّلَفِ معهُ.

- **والمِفتاحُ الثَّاني**: مضمونُهُ أنَّهُ يَنبَغِي أن نَعرِفَ قِيمَةَ القُرآنِ وعَظَمَتَهُ، وأن نَستَحْضِرَ الأهدافَ والمقاصِدَ الَّتي من أَجْلِهَا نَقْرَؤُهُ، فدَائِمًا اسْأَلْ نَفْسَكَ: لماذا أُرِيدُ قراءةَ القُرآنِ؟ ولْتَكُنِ الإجابةُ واضحةً مفصَّلَةً، وإنْ كانت مكتوبةً، فذاكَ أَولَى، **والمقاصِدُ الأساسيَّةُ لقراءةِ القُرآنِ خَمسَةٌ**: **العِلمُ**، و**العَمَلُ**، و**المناجاةُ**، و**الثَّوابُ**، و**الشِّفَاءُ**.

▪ **والمفاتيحُ مِنَ الثَّالِثِ إلى العاشِرِ**: الحديثُ فيها عن إجابةِ سؤالٍ مُهِمٍّ: كيفَ نَقْرَأُ القُرآنَ الكريمَ؟ و(كيفَ) هنا متوجِّهَةٌ إلى: الأحوالِ والكَيفِيَّاتِ الَّتي تُحَقِّقُ أعلَى قَدْرٍ مِنَ التَّركِيزِ والعُمقِ في فَهْمِ القُرآنِ الكريم، فكُلٌّ واحدٍ مِنهَا يُعطِي دَرَجَةً في التَّركِيزِ والفَهم، **وهذه المفاتيحُ هي**: أن تكونَ القراءةُ في صلاةٍ، في لَيلٍ، حِفْظًا، بتَرتِيلٍ، وجَهْرٍ، وتَكْرَارٍ، ورَبْطٍ، مع خَتْمِ المقدارِ الَّذي يُقْرَأُ ويُرادُ حُصولُ تدبُّرِهِ كُلَّ أُسبوعٍ.

هذه خُلَاصَةُ هذا البَحثِ، نَسألُ اللهَ تعالى أن يُحَقِّقَ مقاصِدَنَا، وأن يرزُقَنَا العِلمَ النَّافِعَ والعَمَلَ الصَّالِحَ؛ إنَّهُ وَلِيُّ ذلكَ والقادِرُ عليه، واللهُ أَعلَمُ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نَبِيِّنَا مُحمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعِينَ.

✪ المَسْأَلَةُ الثَّامِنَةَ عشرَةَ: المفاتيحُ العَشَرَةُ:

مفاتيحُ تدبُّرِ القُرآنِ عَشرَةٌ، مجموعةٌ في قَولِكَ:

(لإصلاح ترتج):

(ل) **لُبٌّ وهو القَلبُ**: والمَعنَى أنَّ حُبَّ القُرآنِ هو المِفتاحُ الأوَّلُ للتَّدبُّرِ، فالقَلبُ هو آلَةُ فَهمِ القُرآنِ، والقَلبُ بِيَدِ اللهِ تعالى يُقَلِّبُهُ كيفَ شاءَ، والعَبدُ مُفتَقِرٌ إلى رَبِّهِ لِيَفتَحَ قَلبَهُ للقُرآنِ فيَطَّلِعَ على خَزائِنِهِ وكُنوزِهِ.

(أ) **أهدافٌ، أو أهميَّةٌ**: **أي**: استِحضارُ أهدافِ قراءةِ القُرآنِ؟ أيْ: لماذا تَقرَأُ القُرآنَ؟

(ص) **صلاةٌ**: أن تكونَ القراءةُ في صلاةٍ.

(ل) **لَيلٌ**: أن تكونَ القراءةُ والصَّلاةُ في لَيلٍ؛ **أي**: في وَقتِ الصَّفاءِ والتَّركِيزِ.

(أ) **أُسبوعٌ**: أن يُكَرِّرَ ما يَقرَؤُهُ مِنَ القُرآنِ كُلَّ أسبوعٍ، ولو لِجُزءٍ مِنهُ.

(ح) **حِفظًا**: أن تكونَ القراءةُ حِفظًا عن ظَهرِ قَلبٍ بحَيثُ يَحصُلُ التَّركِيزُ التَّامُّ وانطباعُ الآياتِ عندَ القراءةِ.

(ت) **تكرارٌ**: تكرارُ الآياتِ وتَردِيدُهَا لتَحقِيقِ مَزِيدٍ مِنَ التَّثبِيتِ.

(ر) **رَبطٌ**: رَبطُ الآياتِ بواقِعِكَ اليَوميِّ وبنظرتِكَ للحياةِ.

(ت) **تَرتِيلٌ**: التَّرتِيلُ والتَّرَسُّلُ في القراءةِ، وعدمُ العجلةِ؛ إذِ المقصودُ هو الفَهمُ ولَيسَ الكَمَّ، وهذه مشكلةُ الكثيرِينَ، وهم بهذا الاستعجالِ يُفَوِّتُونَ على أنفسِهِم خَيرًا عظيمًا.

(ج) **جَهْرٌ**: الجَهرُ بالقراءةِ؛ لِيَقْوَى التَّركِيزُ ويكونَ

التَّوصِيلُ بجِهَتَينِ بَدَلًا من واحدةٍ؛ **أيِ**: الصُّورةِ والصَّوتِ.

فهذه وسائلُ وأدواتٌ يُكَمِّلُ بعضُها بعضًا في تحقيقِ وتَحصِيلِ مُستَوًى أعلَى وأرفَعَ في تدبُّرِ آياتِ القُرآنِ الكريمِ، والانتفاعِ والتَّأثُّرِ بها، هذه المفاتيحُ هي الَّتي تَفتَحُ الطَّرِيقَ للقُرآنِ لِيَصِلَ إلى قَلبِ الإنسانِ ورُوحِهِ.

وكَتَبَهُ

د. خالد بن عبد الكريم اللاحم
بريد إلكتروني:
lahim@quranlife.com



تَمْهِيدٌ

مَسَائِلُ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ

❁ **المَسْأَلَةُ الأُولَى: مَعنَى تدبُّرِ القُرآنِ:**

قال المَيدانيُّ: «التدبُّرُ هو: التَّفكُّرُ الشَّامِلُ الواصلُ إلى أواخرِ دَلالاتِ الكَلِمِ ومَرامِيهِ البعيدةِ»(١)، **ومعنَى تدبُّرِ القُرآنِ**: هو التفكُّرُ والتَّأمُّلُ في آياتِ القُرآنِ؛ من أَجْلِ فَهمِهِ، وإدراكِ معانِيهِ، وحِكَمِهِ، والمرادِ مِنهُ.

وقد يُطلَقُ التدبُّرُ على العملِ؛ لأنَّهُ ثمرتُهُ، وللتَّلازُمِ القَوِيِّ بَينَهُمَا؛ **كما في قولِ عليِّ بنِ أبي طالب**: «يا حَمَلَةَ القُرآنِ (أو: يا حَمَلَةَ العِلم)، اعْمَلُوا بِهِ؛ فإنَّما العالِمُ مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ»، **وقولِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ**: «اقْرَأِ القُرآنَ ما نَهاكَ، فإذا لم يَنْهَكَ، فَلَيْسَتْ بقِرَاءَةٍ»، **وقولِ الحَسَنِ البَصرِيِّ**: «وما تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إلَّا باتِّبَاعِهِ»، **وقولِ أبي الدَّرداءِ**:

---

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷿: (ص١٠).

«إنَّما جَمَعَ القُرآنَ مَن سَمِعَ لَهُ وأَطاعَ»(١).

وكما يَذكُرُه كثيرٌ مِنَ المفسِّرينَ عندَ تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

وعلاماتُ التَّدبُّرِ أيضًا تُبَيِّنُ حقيقةَ المرادِ به؛ فهي التَّعرِيفُ العَمَلِيُّ لتَدَبُّرِ القُرآنِ.

❁ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَفهُومٌ خاطِئٌ لمَعنَى التَّدبُّرِ:

إنَّ ممَّا يَصرِفُ كثيرًا منَ المسلِمينَ عن تدبُّرِ القُرآنِ، والتَّفكُّرِ فيهِ، وتذكُّرِ ما فيه مِنَ المعاني العظيمةِ ـ: اعتقادَهُم صعوبةَ فَهمِ القُرآنِ، وهذا خطأٌ في مفهوم تدبُّرِ القُرآنِ، وانصرافٌ عنِ الغايةِ الَّتي من أَجْلِهَا أُنزِلَ؛ فالقُرآنُ كتابُ تربيةٍ وتعليم، وكتابُ هدايةٍ وبصائرَ لِكُلِّ النَّاسِ، كتابُ هُدًى ورحمةٍ وبُشرَى للمُؤمنِينَ، كتابٌ قد يَسَّرَ اللهُ تعالى فَهمَهُ وتدبُّرَهُ؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قالَ ابن هُبَيرَةَ: «ومِن مكايدِ الشَّيطانِ تَنفيرُهُ عِبادَ اللهِ من تدبُّرِ القُرآنِ؛ لِعلمِهِ أنَّ الهُدَى واقِعٌ عِندَ التدبُّرِ، فيقولُ:

---

(١) **انظر توثيق هذه الأقوال في:** (ص٧٣) وما بعدها.

هذه مُخاطَرَةٌ. حتَّى يقولَ الإنسانُ: أنا لا أتكلَّمُ في القُرآنِ؛ تَوَرُّعًا»(١).

وقالَ الشَّاطبيُّ: «فمِن حيثُ كانَ القُرآنُ مُعجِزًا أفحَمَ الفُصَحاءَ، وأعجَزَ البُلَغاءَ أن يَأْتُوا بمِثلِهِ، فذَلِكَ لا يُخرِجُهُ عن كَونِهِ عَرَبِيًّا جارِيًا على أساليبِ كَلامِ العَرَبِ، مُيَسَّرًا للفَهمِ فيه عنِ اللهِ ما أَمَرَ به ونَهَى»(٢).

وقال ابنُ القَيِّم: «مَن قالَ: إنَّ له تَأْوِيلًا لا نَفهَمُهُ، ولا نَعلَمُهُ، وإنَّما نَتلُوهُ مُتَعَبِّدِينَ بألفاظِهِ، ففِي قَلبِهِ مِنهُ حَرَجٌ»(٣).

ويقولُ الصَّنْعَانِيُّ: «فإنَّ مَن قَرَعَ سَمْعَهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، يَفهَمُ مَعنَاهُ دُونَ أن يَعرِفَ أنَّ (ما): كلمةُ شَرطٍ، و(تُقَدِّمُوا): مَجزُومٌ بِهَا؛ لأنَّهُ شَرطُهَا، و(تَجِدُوهُ): مَجزُومٌ بِهَا؛ لأنَّهُ جَزَاؤُهَا، ومِثلُهَا كَثِيرٌ... فَيَالَيتَ شِعرِي! مَا الَّذي خَصَّ الكتابَ والسُّنَّةَ بالمَنعِ عن معرفةِ معانِيهَا، وفَهمِ تَراكِيبِهَا،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: (٣/ ٢٧٣).
(٢) الموافقات: (٣/ ٨٠٥).
(٣) التبيان في أقسام القرآن: (ص١٤٤).

ومَبانِيهَا؟! حتَّى جُعِلَتْ كالمَقصُورَاتِ في الخِيَامِ... ولم يَبْقَ لنا إلَّا تَردِيدُ ألفاظِهَا وحروفِهَا...»[1].

إنَّ الصَّحيحَ والحَقَّ في هذه المسألةِ: أنَّ القُرآنَ مُعظَمُهُ واضِحٌ، وبَيِّنٌ وظاهِرٌ لكُلِّ النَّاسِ؛ **كما قالَ ابنُ عبَّاسٍ** ﵄: «**التَّفسِيرُ على أربعةِ أَوجُهٍ**: وَجهٌ تَعرِفُهُ العَرَبُ من كلامِهَا، وتَفسِيرٌ لا يُعذَرُ أَحَدٌ بجهالَتِهِ، وتفسِيرٌ يَعلَمُهُ العُلَماءُ، وتَفسِيرٌ لا يَعلَمُهُ إلَّا اللهُ»[2]، ومُعظَمُ القُرآنِ مِنَ القِسمَينِ الأَوَّلَيْنِ.

إنَّ عددَ آياتِ الأحكامِ في القُرآنِ: (٥٠٠) آيةٍ، وعددَ آياتِ القُرآنِ: (٦٢٣٦) آيةً.

إنَّ فَهمَ الوَعْدِ والوَعِيدِ، والتَّرغِيبِ والتَّرهِيبِ، والعِلمَ باللهِ واليومِ الآخِرِ؛ لا يُشتَرَطُ له فَهمُ المُصطَلَحاتِ العِلميَّةِ الدَّقِيقَةِ؛ نَحوِيَّةً وبلاغيَّةً وأُصولِيَّةً وفقهيَّةً؛ فمُعظَمُ القُرآنِ بَيِّنٌ واضحٌ ظاهرٌ، يُدرِكُ معناهُ الصَّغيرُ والكبيرُ، والعالِمُ والأُمِّيُّ؛ فحِينَمَا سَمِعَ الأعرابيُّ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، **قال**: «مَن ذا

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد: (ص٣٦).

(٢) تفسير الطبري: (١/ ٧٥)، مقدمة التفسير لابن تيمية: (ص١١٥).

الَّذي أَغْضَبَ الجَلِيلَ حَتَّى أَقْسَمَ؟!»، وحِينَمَا أَخْطَأَ إمامٌ في قراءةِ آيةِ النَّحلِ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] قرأَها: «مِن تَحْتِهِمْ»، صَوَّبَ له خَطَأَهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ لا تَقْرَأُ ولا تكتُبُ.

إنَّ القُرآنَ بَيِّنٌ واضحٌ ظاهرٌ، وفَهْمُهُ وفِقهُهُ وتَدَبُّرُهُ لَيسَ صَعْبًا بحَيثُ نُغلِقُ عُقُولَنَا، ونُعَلِّقُ فَهمَهُ كُلِّهِ بالرُّجُوعِ إلى كُتُبِ التَّفسِيرِ، فنُعَمِّمُ حُكمَ الأَقَلِّ على الكُلِّ، هذا مَفهُومٌ خَاطِئٌ وهو نَوعٌ مِنَ التَّسوِيفِ في تدبُّرِ القُرآنِ وفَهمِهِ.

إنَّ إغلاقَ عقولِنَا عن تدبُّرِ القُرآنِ بحُجَّةِ عَدَمِ معرفةِ تَفسِيرِهِ، والاكتفاءَ بقراءةِ ألفاظِهِ ـ مَدخَلٌ من مداخِلِ الشَّيطانِ على العبدِ؛ لِيَصْرِفَهُ عن الاهتداءِ بِهِ.

وإذا سَلَّمْنَا بهذه الحُجَّةِ، فإنَّ العَقْلَ والمَنطِقَ والحَزْمَ والحِكمَةَ أنَّكَ إذا أشكَلَ عليكَ مَعنَى آيةٍ تُبَادِرُ وتُسارِعُ للبَحثِ عن معناها والمرادِ بها، لا أن تُغلِقَ عَقلَكَ فتَقْرَأَ دُونَ تدبُّرٍ أو تَتْرُكَ القِرَاءَةَ.

❁ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: علاماتُ التَّدبُّرِ:

ذَكَرَ اللهُ تعالى في كتابِهِ الكريمِ علاماتٍ وصفاتٍ تَصِفُ حقيقةَ تدبُّرِ القُرآنِ وتُوَضِّحُهُ بجَلَاءٍ؛ **من ذلك:**

١ ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

٢ ـ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٣ ـ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٤ ـ ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

٥ ـ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

٦ ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

٧ ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣].

٨ ـ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]:

فنستخلِصُ منَ الآياتِ السَّابقةِ سَبْعَ علاماتٍ؛ هِيَ:

١ ـ اجتماعُ القَلبِ والفِكرِ حالَ القراءةِ، ودليلُهُ التَّوقُّفُ تَعَجُّبًا وتَعظِيمًا.

٢ ـ البكاءُ من خشيةِ اللهِ.

٣ ـ زيادةُ الخُشُوعِ.

٤ ـ زيادةُ الإيمانِ، ودليلُهُ التَّكرارُ العَفْويُّ للآياتِ.

٥ ـ الفَرَحُ والاستبشارُ.

٦ ـ القُشَعْرِيرَةُ خوفًا مِنَ اللهِ تعالى، ثمَّ غَلَبَةُ الرَّجاءِ والسَّكِينَةِ.

٧ ـ السُّجودُ تَعظِيمًا للهِ ﷿.

فمَن وَجَدَ واحدةً من هذه الصِّفاتِ، أو أَكثَرَ، فقد وَصَلَ إلى حالةِ التَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ، أمَّا مَن لم يُحَصِّلْ أيًّا من هذهِ العلاماتِ، فهو مَحرُومٌ من تدبُّرِ القُرآنِ، ولم يَصِلْ بعدُ إلى شَيءٍ من كنوزِهِ وذخائرِهِ.

قالَ إبراهيمُ التَّيمِيُّ: «مَن أُوتِيَ مِنَ العِلمِ ما لا يُبكِيهِ لَخَلِيقٌ ألَّا يكونَ أُوتِيَ عِلمًا؛ لأنَّ اللهَ نَعَتَ العلماءَ، فقالَ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]»(١).

وعن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رضي الله عنها؛ قالت: «كانَ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ إذا قُرِئَ عَلَيهِمُ القُرآنُ كما نَعَتَهُمُ اللهُ؛ تَدْمَعُ أَعيُنُهُم، وتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُم»(٢).

إنَّ كُلَّ يَومٍ يَمُرُّ بِكَ ولا يَكُونُ لَكَ نَصِيبٌ ورِزقٌ من هذه العلاماتِ، فقد فاتَكَ فيه رِبْحٌ عظيمٌ، وهو يَومٌ حَرِيٌّ أن يُبكَى على خسارتِهِ!



---

(١) الزهد لابن المبارك: (ص٤١)، حلية الأولياء: (٥/٨٨).
(٢) تفسير القرطبي: (١٥/١٤٩).



المِفتاحُ الأوَّلُ

حُبُّ القُرْآنِ

المَسْألَةُ الأُولى: القَلبُ آلَةُ الفَهمِ والعَقلِ:

قد دلَّ على ذلكَ نصوصٌ كثيرةٌ، الآياتُ القُرآنيَّةُ منها تَزيدُ على مِئَةِ آيةٍ، **وسأَكتَفِي في هذه المسألةِ بذِكرِ ثلاثٍ منها ممَّا هي صريحةُ الدَّلالةِ؛ وهي:**

١ ـ قَولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٣ ـ وقولُهُ تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

وليسَ هذا مقامَ بَسطِ هذه المسألةِ وتَأصِيلِهَا، وإنَّما المقصودُ التَّذكِيرُ بأنَّ القَلْبَ آلَةُ الفَهمِ والعَقلِ والإدراكِ؛

ومن ذلك: فَهمُ القُرآنِ وتدبُّرُهُ[1].

❁ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ القَلبَ بِيَدِ اللهِ وَحدَهُ:

القَلبُ بيدِ اللهِ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ يَفتَحُهُ مَتى شاءَ، ويُغلِقُهُ مَتَى شاءَ، بحِكمَتِهِ وعِلمِهِ سُبحانَهُ:

١ ـ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٢ ـ وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

٣ ـ وقالَ تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقد جَعَلَ لذلكَ أسبابًا ووسائلَ، مَن سَلَكَها وُفِّقَ، ومَن تَخَلَّفَ عنهَا خُذِلَ، ويَأتِي بيانُ ذلكَ في المسائلِ التَّاليةِ.

فتَذَكَّرْ وأَنتَ تحاولُ فَهمَ القُرآنِ أنَّ القُلُوبَ بيَدِ اللهِ تعالى، وأنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المَرءِ وقَلبِهِ؛ فلَيسَتِ العِبرَةُ

---

(١) انظر تفصيل الكلام على هذه المسألة في بحث: «فهم الذات في القرآن الكريم».

بالطَّريقةِ والكَيفِيَّةِ؛ بلِ الفَتحُ مِنَ اللهِ وَحدَهُ، وما يَحصُلُ لكَ مِنَ التَّدبُّرِ، فهو نِعمَةٌ عظيمةٌ مِنَ اللهِ تعالى تَستَوجِبُ الشُّكرَ لا الفَخْرَ، فمَتَى أعطَاكَ اللهُ فَهمَ القُرآنِ، وفَتَحَ لَكَ مَعانِيَهُ، فاحمَدِ اللهَ تعالى، واسأَلْهُ المَزِيدَ، وانْسُبْ هذهِ النِّعمَةَ إلَيهِ وَحدَهُ، واعتَرِفْ بها ظَاهِرًا وباطِنًا.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: عَلاقةُ حُبِّ القُرآنِ بالتَّدبُّرِ:

مِنَ المعلومِ أنَّ القَلبَ إذا أَحبَّ شَيئًا، تَعَلَّقَ به، واشتاقَ إلَيهِ، وشُغِفَ به، وانْقَطَعَ عمَّا سِوَاهُ، والقَلبُ إذا أَحبَّ القُرآنَ، تَلَذَّذَ بقِرَاءَتِهِ، واجتَمَعَ على فَهمِهِ ووَعْيِهِ؛ فيَحصُلُ بذلكَ التَّدبُّرُ المَكِينُ، والفَهمُ العميقُ، وبالعكسِ إذا لم يوجَدِ الحُبُّ فإنَّ إقبالَ القَلبِ على القُرآنِ يكونُ صَعبًا، وانقيادَهُ إليهِ يكونُ شَاقًّا؛ لا يَحصُلُ إلَّا بمجاهدةٍ ومُغالَبَةٍ، وعليهِ فتَحْصِيلُ حُبِّ القُرآنِ من أنفَعِ الأسبابِ لحُصُولِ أقوَى وأعلَى مستوياتِ التَّدبُّرِ.

والواقعُ يَشهَدُ لصِحَّةِ ما ذَكَرْتُ؛ فإنَّنا مَثَلًا نَجِدُ أنَّ الطالبَ الَّذي لَدَيهِ حَمَاسٌ ورَغبَةٌ وحُبٌّ لدِرَاسَتِهِ يَستَوعِبُ ما يُقالُ له بسُرعةٍ فائقةٍ وبقُوَّةٍ، ويُنهِي مُتَطَلَّباتِهِ وواجباتِهِ في وقتٍ وَجِيزٍ، بَينَما الآخَرُ لا يكادُ يَعِي ما يُقالُ له إلَّا بتكرارٍ

وإعادةٍ، وتَجِدُهُ يَذهَبُ مُعظَمُ وقتِهِ ولم يُنجِزْ شَيئًا من واجباتِهِ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: علاماتُ حُبِّ القَلبِ للقُرآنِ:

حبُّ القَلبِ للقُرآنِ له علاماتٌ؛ مِنهَا:

١ ـ الفَرَحُ بلقائِهِ.

٢ ـ الجُلوسُ معَهُ أوقاتًا طويلةً دونَ مَلَلٍ.

٣ ـ الشَّوقُ إلَيهِ مَتَى بَعُدَ العَهدُ عنهُ وحالَ دُونَ ذلكَ بعضُ الموانِعِ، وتَمَنِّي لقائِهِ، والتَّطلُّعُ إلَيهِ، ومحاولةُ إزالةِ العَقَبَاتِ الَّتي تَحُولُ دُونَهُ.

٤ ـ كثرةُ مُشَاوَرَتِهِ، والثِّقَةُ بتَوجِيهَاتِهِ، والرُّجُوعُ إلَيهِ فيما يُشكِلُ من أُمورِ الحياةِ صغيرِهَا وكبيرِهَا.

٥ ـ طاعتُهُ، أَمْرًا ونَهْيًا.

هذهِ أهمُّ علاماتِ حُبِّ القُرآنِ وصُحبَتِهِ؛ فمَتَى وُجِدَتْ، فإنَّ الحُبَّ مَوجُود، ومَتَى تَخلَّفَتْ، فحُبُّ القُرآنِ مَفقُود، ومَتَى تَخلَّفَ شَيءٌ مِنهَا، نَقَصَ حُبُّ القُرآنِ بقَدرِ ذلكَ التَّخلُّفِ.

ينبغي لكُلِّ مُسلِمٍ أن يَسألَ نَفْسَهُ هذا السُّؤالَ: هل أُحِبُّ القُرآنَ؟

إنَّهُ سؤالٌ مُهِمٌّ وخطيرٌ، وإجابَتُهُ أَشَدُّ خَطَرًا، إنَّها إجابةٌ تَحمِلُ مَعانِيَ كثيرةً.

وقبلَ أن تُجيبَ عن هذا السُّؤالِ، ارجِعْ إلى العلاماتِ الَّتي سَبَقَ ذِكرُهَا؛ لتَقِيسَ بها إجابتَكَ، وتَعرِفَ بها الصَّوَابَ مِنَ الخَطَأِ.

إنَّ بعضَ المسلمِينَ لو سُئِلَ: هل تُحِبُّ القُرآنَ؟ **يُجِيبُ:** نَعَمْ أُحِبُّ القُرآنَ، وكَيفَ لا أُحِبُّهُ؟ لكن هل هو صادقٌ في هذا الجوابِ؟

كيفَ يُحِبُّ القُرآنَ وهو لا يُطِيقُ الجُلُوسَ معه دقائقَ، بَينَما تراهُ يَجلِسُ السَّاعاتِ مع ما تَهوَاهُ نَفسُهُ وتُحِبُّهُ مِن مُتَعِ الحياةِ؟!

قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﵁: «لا يَسْأَلُ عَبدٌ عن نَفسِهِ إلَّا القُرآنَ؛ فإنْ كانَ يُحِبُّ القُرآنَ ويُعْجِبُه، فهو يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ»(١).

إنَّنا يَنبَغِي أن نَعتَرِفَ بالتَّقصِيرِ إذا لم توجَدْ فِينَا العلاماتُ السَّابقةُ، ثم نَسعَى في التَّغيِيرِ، وهو ما سَيَتِمُّ بيانُهُ في المسألةِ التَّاليةِ.

---

(١) مسند ابن الجعد: (٢/ ٧٧٤).

۞ المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: وسائلُ تَحصِيلِ حُبِّ القُرآنِ:

• **الوَسِيلَةُ الأُولَى: التَّوكُّلُ على اللَّهِ تعالى والاستعانةُ به:**

الدعاءُ بحُبِّ القُرآنِ أمرٌ عَظِيمٌ، مَنِ استُجِيبَ له، سَعِدَ في حياتِهِ سعادةً لا يَشقَى بعدَها أبدًا، ومَن رَزَقَهُ اللهُ حُبَّ القُرآنِ، فقد رَزَقَهُ الإيمان، وسَهَّلَ له طريقَ الجِنَان، وما دامَ الأمرُ بهذه الأهميَّةِ، فإنَّنا لم نُترَكْ فيه هَمَلًا؛ **فقد بَيَّنَهُ اللهُ ورسولُهُ لنا أَوضَحَ بيانٍ، وهو في أربعةِ أُمورٍ:**

الأوَّلُ: الفاتحةُ:

فقد تضمَّنَتِ **(الفاتحةُ)** سؤالَ الهدايةِ إلى الصِّراطِ المستقيمِ، وهو صراطُ الَّذينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم، ومِن أَهَمِّ نِعَمِ اللهِ عليهِم أنْ فَتَحَ لهم أبوابَ كتابِه، ويَسَّرَ لَهُمُ العيشَ في رحابِه، فإذا قَرَأْتَ الفاتحةَ، فأنتَ تدعُو اللهَ تعالى أن يَرزُقَكَ حُبَّ كتابِهِ العظيمِ؛ ليَحصُلَ لكَ بذلكَ الغَوصُ في أعماقِهِ والنَّجاةُ بهِ في الحياةِ الدُّنيَا والآخرةِ.

الثَّاني: الاستعاذةُ:

فإنَّ الشَّيطانَ قد قَطَعَ على نَفسِهِ العَهْدَ أن يَقطَعَ عليكَ طريقَ الوُصولِ إلى القُرآنِ الكريمِ الَّذي هو صراطُ اللهِ المستقيمُ، وقد أَمَرَنَا اللهُ أن نَستَعِيذَ مِنَ الشَّيطانِ في كُلِّ

مَرَّةٍ نُرِيدُ قِراءَةَ القُرآنِ الكريمِ؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

الثَّالِثُ: البَسْمَلَةُ:

البَسمَلَةُ حقيقتُها دعاءٌ وتوسُّلٌ إلى اللهِ تعالى بثلاثةٍ من أسمائِهِ: **اللهِ**، و**الرَّحمٰنِ**، و**الرَّحِيمِ**؛ لِيُمِدَّكَ بالعَونِ والبركةِ فيما أنتَ مُقبِلٌ علَيهِ، وما تريدُ أن تقومَ به.

الرَّابِعُ: دُعاءُ حُبِّ القُرآنِ:

عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «(**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ ـ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أو حَزَنٌ ـ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي ـ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**)، قَالُوا: يا رسولَ اللهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَن نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ: (**أَجَلْ؛ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَن يَتَعَلَّمَهُنَّ**)»(١).

(١) مسند أحمد بن حنبل: (١/ ٣٩١)، (ح٣٧١٢)، صحيح ابن حبان: =

وهذا الدُّعاءُ مِنَ الأدعيةِ المُستجابةِ؛ **لأنَّهُ تَضمَّنَ ثلاثةَ أُمورٍ**:

الأوَّلُ: التَّوسُّلُ بالعُبُودِيَّةِ للهِ تعالى.

الثَّاني: التَّوسُّلُ بجميعِ أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ، ومِنهَا الاسمُ الأَعظَمُ الَّذي إذا دُعِيَ اللهُ به، اسْتَجابَ؛ كما ثَبَتَ في الحديثِ الصَّحِيحِ.

الثَّالثُ: الوَعدُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لِمَن دَعَا بِهِ أن يُذهِبَ اللهُ هَمَّهُ ويُبْدِلَهُ مكانَ حُزنِهِ فَرَحًا، فماذا نَنْتَظِرُ بعدَ كُلِّ هذهِ التَّأكِيدَاتِ؟!

إنَّ القُرآنَ الكريمَ رُوحٌ ونورٌ؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد جاءَ في الحديثِ وَصفُ أقوامٍ بأنَّ القُرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُم أو حَناجِرَهُم؛ **أي**: لم يَصِلْ نُورُ القُرآنِ ورُوحُهُ إلى قلوبِهِم؛ بلِ الطَّرِيقُ إلَيهِ مَسدُودٌ؛ فهوَ مُتوقِّفٌ

= (٣/ ٢٥٣)، (ح٩٧٢)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة: (١/ ٢٣٦)، (ح١٩٩).

في الحَناجرِ، ولم يُفتَحْ له لِيَصِلَ إلى القَلبِ، فالَّذي يَدعُو بهذا الدُّعاءِ فإنَّه يَسأَلُ اللهَ تعالى أن يُزِيلَ هذهِ العوائقَ، ويَفتَحَ الطَّريقَ إلى القَلبِ؛ لِيَصِلَ إليهِ نُورُ القُرآنِ ورُوحُهُ.

ليسَ كُلُّ مَن قَرَأَ القُرآنَ، وَصَلَ القُرآنُ إلى رُوحِهِ وقَلبِهِ ونَفسِهِ، بلِ الكثيرُ مِنهُم مَحرُومُونَ من ذلكَ.

لِنَتَذَكَّرْ أنَّ الحاجةَ المطلوبةَ في هذا الدعاءِ عظيمةٌ يَتَوَقَّفُ عليها سعادةُ الإنسانِ الأبديَّةُ؛ وهي أن يكونَ القُرآنُ ربيعَ قَلبِهِ؛ **أي**: الماءَ الَّذي يَسقِي قَلبَهُ؛ فيُحْيِيهِ ويُقَوِّيهِ بعدَ أن كانَ قاسِيًا مَرِيضًا، وكذلكَ الدُّعاءُ بأن يكونَ القُرآنُ نُورَ صَدرِهِ، وما ظَنُّكُم بصَدرٍ دَخَلَهُ نُورُ القُرآنِ؟! هل يَبقَى فِيهِ شَيءٌ مِنَ القَلَقِ، أوِ الهَمِّ، أَوِ المَرَضِ؟ وما ظَنُّكُم بقَلبٍ دَخَلَهُ رُوحُ القُرآنِ؟! كَيفَ تكونُ قُوَّتُهُ وثَباتُهُ؟!

فهذا الدُّعاءُ حاجَتُنَا إليهِ أَشَدُّ مِن حاجتِنَا إلى الطَّعامِ والشَّرابِ والنَّفَسِ، مَنِ استُجِيبَ لهُ هذا الدُّعاءُ، فقد حِيزَتْ لهُ الدُّنيَا بحَذافِيرِهَا، ومَن حُرِمَ منهُ، فقد فاتَهُ كُلُّ شَيءٍ، وإنْ حَصَّلَ كلَّ مَلَذَّاتِ الدُّنيَا وشَهواتِهَا.

إنَّ بعضَ النَّاسِ لا يَعرِفُ الإلحاحَ في المسألةِ إلا في مَطالِبِهِ الدُّنيَوِيَّةِ المادِّيَّةِ، أمَّا الأمورُ الدينِيَّةُ، فتَجِدُ سُؤَالَهُ لها بَارِدًا بَاهِتًا، هذا إنْ دَعا وسَأَلَ.

فعلى كُلِّ مُسلِم أن يُكَرِّرَ هذا الدُّعاءَ كُلَّ يوم ثَلاثًا، خَمْسًا، سَبْعًا، ويَتَحَرَّى مواطِنَ الإجابةِ، ويَجتَهِدَ أن يكونَ سؤالُهُ بصِدقٍ، وبتضرُّعٍ، وإلحاحٍ، وشَفَقَةٍ، وحِرصٍ شديدٍ أن يُجابَ وأن يُعطى.

وعليهِ بالصَّبْرِ والاستمرارِ حتَّى يُستجابَ لهُ ويَحصُلَ على مطلوبِهِ؛ فعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**(لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)**، قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، ما الاستِعْجالُ؟ قالَ: **(يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي؛ فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)**»[1].

ومن علاماتِ استجابةِ هذا الدُّعاءِ: أن يُشرَحَ صَدرُكَ لكَثْرَةِ قراءتِهِ، وكثرةِ القيامِ بهِ في اللَّيلِ والنَّهارِ، وعندَها عَلَيكَ أن تَحمَدَ اللهَ تعالى وتَشكُرَهُ على هذه النِّعمَةِ العظيمةِ، وتَسْأَلَهُ دَوامَهَا وزيادَتَها.

• الوَسِيلَةُ الثَّانِيَةُ: القِرَاءَةُ:

أي: القراءةُ عن عَظَمَةِ القُرآنِ؛ ممَّا وَرَدَ في القُرآنِ والسُّنَّةِ وأقوالِ السَّلَفِ في تَعظِيمِهِم للقُرآنِ وحُبِّهِم له.

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٩٥).

أَقتَرِحُ على كُلِّ رَاغِبٍ في تحصيلِ حُبِّ القُرآنِ أن يَضَعَ له بَرنَامَجًا؛ يَتَضَمَّنُ نُصوصًا مِنَ القُرآنِ والسُّنَّةِ وأقوالِ السَّلَفِ، فيها بيانٌ لعَظَمَةِ القُرآنِ ومكانتِهِ، **ويُرَتِّبَهَا على مُستَوَيَيْنِ:** مَتنٍ، وشَرحٍ؛ فالمَتنُ يُحفَظُ ويُكرَّرُ، والشَّرْحُ يُقرَأُ ويُفهَمُ، ويَتِمُّ رَبطُ المعاني الَّتي تَضَمَّنَها الشَّرحُ بألفاظِ المَتنِ[١].

ويُرجَى بإذنِ اللهِ تعالى لِمَنْ طَبَّقَ هذا البرنامجَ أن يَرزُقَهُ اللهُ حُبَّ القُرآنِ وتَعظيمَهُ، الَّذي هو المِفتاحُ الرَّئِيسُ لِتَدبُّرِ القُرآنِ وفَهمِهِ، وكُلُّ كلامٍ يُقالُ في هذا الموضوعِ فهوَ مُتَوَقِّفٌ عليهِ، وهذا السِّرُّ في أنَّ الكثيرَ مِنَّا يَقْرَأُ في هذا الموضوعِ ولا يَخرُجُ بِأَيِّ نتائجَ إيجابيَّةٍ.

فأَكثِرْ مِنَ القراءةِ عنِ القُرآنِ[٢]، اقْرَأْ باستمرارٍ عن

---

(١) ومثلُ هذا العمل لا يَنُوبُ فيه أحد عن أحد؛ بل على كلِّ شخص أن يجمعَ لنفسه كلَّ نصٍّ يتأثَّر به، ويرتِّب ما يجمع على الطريقة التي وصفتُها، كما أنَّ تكرار قراءة هذا الكتاب أيضًا يحقِّق لك هذا الهدف.

(٢) **ومن الكتب النافعة في تحقيق هذا المعنى:** كتاب: «حديث القرآن عن القرآن»، للشيخ محمد الراوي، وكتاب: «الهدى والبيان في أسماء القرآن»، للشيخ صالح البليهي؛ ففي هذين الكتابين مادَّة علميَّة مهمَّة تحقِّق هذا الهدف.

حالِ السَّلَفِ مع القُرآنِ وقِصَصِهِم في ذلكَ وأخبارِهِم[(١)].

يَنبَغِي أن نعلَمَ أنَّ عَدَمَ حُبِّنَا للقُرآنِ، وعدمَ تَعظِيمِنَا لهُ سَبَبُهُ الجَهلُ بقِيمَتِهِ، مِثلُ الطِّفلِ تُعطِيهِ خَمسَ مِئَةِ ريالٍ، فيَرفُضُ ويَطلُبُ ريالًا واحدًا؛ فكذلكَ من لا يَعرفُ قيمةَ القُرآنِ يَزهَدُ فيه ويَهجُرُهُ ويَشتَغِلُ بما هوَ أدنى منهُ.

لو أُعلِنَ عن كتابٍ، مَن يُختَبَرْ فيهِ ويَنجَحْ، يُمْنَحْ عَشَرَةَ مِليَارَاتٍ؛ فكيفَ يكونُ حِرصُ النَّاسِ وتَعَلُّقُهُم بهذا الكتابِ؟! وكيفَ يكونُ الطَّلَبُ عليهِ، والاشتغالُ بمُذاكرتِهِ؟!

إنَّ القُرآنَ كتابٌ مَن يَنْجَحْ فيه يُمْنَحْ مُلكًا لا حُدُودَ لَهُ.

إنَّ الكثيرَ منَ المسلمِينَ تَعظِيمُهُ للقُرآنِ تَعظِيمٌ مُجمَلٌ؛ فحَدُّ عِلمِهِم: أنَّهُ كتابٌ مُنَزَّلٌ من عندِ اللهِ، تَعَبَّدَنَا بتِلاوَتِهِ

(١) **ما الحلُّ فيمن لا يُقبِل على القراءة؟ الجواب**: يمكن تحقيق ذلك عن طريق المسابقات والحوافز والتشجيع إلى أن يقتنع بأهمية القراءة، ويرى أثرها، ثم بعد ذلك يقوم بقراءة المطلوب، ويحصِّل هذا المفتاح المهمَّ من مفاتيح كنوز القرآن الكريم، كما يمكن إقامة الملتقيات والمخيَّمات التربويَّة والأسابيع الإعلاميَّة لتحقيق هذا الهدف.

في الصَّلاةِ، يَقرَؤُونَهُ على المَرضَى للشِّفاءِ، أمَّا العِلمُ التَّفصِيلِيُّ بعَظَمَةِ القُرآنِ ومكانتِهِ، وما يُحَقِّقُهُ من نجاحٍ للإنسانِ في هذهِ الحياةِ ـ فهو مَحَلُّ جهلٍ عِندَ الكثيرينَ؛ **وأضرِبُ لذلك مِثالًا:** عندَما تَسمَعُ عن شَخصٍ عظيمٍ لهُ أثَرٌ في التَّارِيخ، يَتَكوَّنُ لديكَ صورةٌ إجماليَّةٌ عنهُ، ويُصبِحُ لهُ مكانَةٌ في نَفسِكَ، وعندَما تَقْرَأُ كتابًا من (٦٠٠) صفحةٍ عن بُطولاتِهِ وتَضحِيَاتِهِ وقِصَصِ كَرَمِهِ وبِرِّهِ بالنَّاسِ، وما حَقَّقَهُ من إنجازاتٍ، وما قامَ به من إغاثةِ المَلهُوفِ، تَعِيش مع هذا الكتابِ مُدَّةَ شَهرٍ حَرْفًا حَرْفًا، فبِكُلِّ تأكِيدٍ تَزدادُ صورةُ هذا القائدِ أو المُصلِحِ عُمقًا، ويَزدادُ حُبُّكَ وتَعظِيمُكَ له، وهذا التَّأثُّرُ أمرٌ مُشَاهَدٌ لا يُمكِنُ لأحدٍ إنكارُهُ، فلِمَ لا نُوَظِّفُهُ لزيادةِ حُبِّنَا وتعظيمِنَا للقُرآنِ الكريمِ وتعلُّقِنا بهِ؟! فإذا فَعَلْنَا ذلكَ، فإنَّ هذا الكتابَ العظيمَ سَيَزِيدُ حُبَّنَا وتَعظِيمَنا للهِ ﷻ، وبهذا نَصِلُ إلى مرتبةِ ودرجةِ أولياءِ اللهِ المُتَّقِينَ، الَّذينَ لا خَوفٌ عليهِم ولا هُم يحزَنونَ، الَّذين لو أقسَمَ الواحدُ منهُم على اللهِ، لَأَبَرَّهُ، وحَقَّقَ لهُ أُمْنِيَّتَهُ.

❋ ❋ ❋



المِفتَاحُ الثّاني

اَستِحضَارُ أَهدَافِ قِرَاءَةِ القُرآنِ

مُعظَمُ النَّاسِ إذا سألتَهُ: لماذا تقرَأُ القُرآنَ؟

يُجِيبُكَ: لأنَّ تلاوتَهُ أفضَلُ الأعمالِ، ولأنَّ الحَرْفَ بعَشْرِ حَسَناتٍ، والحَسَنَةَ بعَشْرِ أمثالِهَا، فيَقصُرُ نَفسَهُ على هدفٍ ومَقصدِ الثَّوابِ فحَسْبُ، أمَّا المقاصدُ والأهدافُ الأُخرَى فيَغفُلُ عنها.

والمُشتَغِلُ بحِفظِ القُرآنِ تَجِدُهُ يَقرَأُ القُرآنَ لِيُثَبِّتَ الحِفظَ، الهدفُ تَثبِيتُ الحُرُوفِ وصُوَرِ الكلماتِ، فتَجِدُهُ تَمُرُّ به المعاني العظيمةُ المؤثِّرَةُ فلا يَنْتَبِهُ لها، ولا يُحِسُّ ولا يَشعُرُ بها؛ لأنَّهُ قَصَرَ هِمَّتَهُ ورَكَّزَ ذِهنَهُ على الحُروفِ وانْصَرَفَ عنِ المعاني؛ فلهذا السَّبَبِ تَجِدُ حافظًا للقُرآنِ غيرَ عَامِلٍ ولا مُتَخَلِّقٍ به.

وجَمعُ الذِّهنِ بَينَ نِيَّاتٍ ومقاصِدَ متعدِّدَةٍ في وَقتٍ وَاحِدٍ عمليَّةٌ تحتاجُ إلى انتباهٍ وقَصدٍ وتَركِيزٍ.

وفي أيِّ عملٍ نَعمَلُهُ كُلَّما تعدَّدَتِ النِّيَّاتُ وكَثُرَتْ، كانَ العملُ أعظَمَ أَجْرًا وأَكبَرَ تأثيرًا على العاملِ؛ مثلُ الصَّدَقَةِ على ذِي الرَّحِمِ؛ فإنَّها صَدَقَةٌ وصِلَةٌ، ومِثلُ النَّفقةِ على الأَهلِ؛ فإنَّها نَفَقَةٌ وصَدَقَةٌ.

وقراءةُ القُرآنِ يَجتَمِعُ فيها خمسَةُ مقاصِدَ ونيَّاتٍ، كُلُّها عظيمةٌ، وكُلُّ واحدةٍ منها كافيةٌ لأنْ تَدْفَعَ المُسلِمَ ليُسارِعَ إلى قراءةِ القُرآنِ، ويُكثِرَ الاشتغالَ به وصُحبَتَهُ، **وأهدافُ قراءةِ القُرآنِ مجموعةٌ في قولِك:** (ثمَّ شعَّ):

(**الثَّاءُ**): **ثوابٌ.**

(**الميمُ**): **مُناجاةٌ، ومَسألَةٌ.**

(**الشِّينُ**): **شِفَاءٌ.**

(**العَينُ**): **عِلمٌ.**

(**العَينُ**): **عَمَلٌ.**

فمَتَى قَرَأَ المُسلِمُ القُرآنَ مُستَحضِرًا المقاصدَ الخمسة معا، كانَ انتفاعُهُ بالقُرآنِ أعظَمَ، وأَجرُهُ أكبَرَ؛ قالَ النَّبيُّ ﷺ: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**)[1]؛ فمَن

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٣)، (ح١)، صحيح مسلم: (٣/ ١٥١٥)، (ح١٩٠٧).

قَرَأَ القُرآنَ يُرِيدُ العِلمَ، رَزَقَهُ اللهُ العِلمَ، ومَن قرأَهُ يريدُ الثَّوابَ فقط، أُعطِيَ الثَّوابَ؛ **قالَ ابنُ تيمِيَّةَ**: «مَن تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا الهُدَى مِنهُ تَبَيَّنَ لهُ طريقُ الحَقِّ»(١)، **وقالَ القُرطُبِيُّ**: «فإذا استَمَعَ العبدُ إلى كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ بِنِيَّةٍ صادقةٍ على ما يُحِبُّ اللهُ، أَفهَمَهُ كما يَجِبُ، وجَعَلَ في قَلبِهِ نُورًا»(٢)، ومَن قَرَأَ القُرآنَ يريدُ النَّجاحَ، يَسَّرَ اللهُ له النَّجاحَ.

✿ الهَدَفُ الأَوَّلُ: قراءةُ القُرآنِ لأَجلِ العِلمِ:

• المَسألَةُ الأُولَى: أهمِّيَّةُ هذا المَقصدِ:

هذا هوَ المَقصدُ المُهِمُّ، والمقصودُ الأَعظَمُ من إنزالِ القُرآنِ، والأمرِ بقراءتِهِ، بل ومن تَرتِيبِ الثَّوابِ على القراءةِ؛ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، وقالَ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ

---

(١) العقيدة الواسطية: (ص١٠٣).
(٢) تفسير القرطبي: (١١/١٧٦).

﴿أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «إذا أردتُّمُ العِلمَ، فانْثُروا هذا القُرآنَ؛ فإنَّ فِيهِ عِلْمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ»(١).

وقالَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما: «إنَّ مَن كانَ قَبلَكُم رَأَوُا القُرآنَ رَسائِلَ من رَبِّهِم؛ فكانوا يَتَدَبَّرُونها بالليلِ، ويَتفَقَّدُونَها في النَّهارِ»(٢).

وقالَ مَسْرُوقُ بنُ الأَجْدَعِ رحمه الله **- وهو من كبارِ تابِعِي الكُوفَةِ وأجمَعِهِم لعِلمِ الصَّحابةِ -**: «ما نَسأَلُ أصحابَ مُحمَّدٍ ﷺ عن شَيءٍ إلَّا وعِلمُهُ في القُرآنِ، ولكن قَصُرَ عِلمُنا عَنهُ»(٣).

وقالَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «لقد عِشنَا دَهْرًا طَويلًا وإنَّ أحدَنا يُؤتَى الإيمانَ(٤) قَبلَ القُرآنِ(٥)؛ فتنزِلُ السُّورَةُ

---

(١) مصنَّف ابن أبي شيبة: (٦/ ١٢٦)، المعجم الكبير للطبراني: (٩/ ١٣٦)، شُعب الإيمان للبيهقي: (٢/ ٣٣٢).

(٢) التِّبيان للنووي: (ص٢٨).

(٣) شُعب الإيمان للبيهقي: (٥/ ٢٣١).

(٤) **أي**: ما تضمَّنته الآياتُ من العلم بالله واليوم الآخر.

(٥) **أي**: مجرَّد قراءة الألفاظ.

على مُحمَّدٍ ﷺ؛ فنَتَعلَّمُ حلالَهَا وحرامَها، وآمِرَها وزاجِرَها، وما يَنبَغِي أن يُوقَفَ عِندَهُ منها، ثم لقد رَأيتُ رجالًا يُؤتَى أحدُهُمُ القُرآنَ قبلَ الإيمانِ؛ فيَقرَأُ ما بينَ فاتحةِ الكتابِ إلى خاتمتِهِ لا يَدرِي ما آمِرُهُ ولا زاجِرُهُ، وما يَنبَغِي أن يَقِفَ[١] عندَهُ منه؛ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»[٢]، وقالَ الحَسَنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «مَا أَنزَلَ اللهُ آيةً إلَّا وهو يُحِبُّ أن يُعلَمَ فِيمَ أُنزِلَتْ وما أَرَادَ بِهَا»[٣].

وعن عبدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ **قالَ**: «عَلَيكُم بالقُرآنِ؛ فإنَّهُ عنهُ تُسأَلُونَ، وبه تُجْزَوْنَ، وكَفَى به واعِظًا لِمَنْ عَقَلَ»[٤].

وقالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «**قُرَّاءُ القُرآنِ ثلاثةُ أصنافٍ**: صِنفٌ اتَّخَذُوهُ بِضَاعَةً؛ يَأكُلُونَ بِهِ، وصِنفٌ أَقامُوا

---

(١) **المراد بالوقوف هنا**: التوقف عن القراءة لأجل التدبر والتفكُّرِ في معنى الآية، وقد حمل بعضهم كلام ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا على معنى الوقف الاصطلاحي، **وهو**: التوقف لأجل النَّفَسِ، ثم مواصلة القراءة.

(٢) المستدرك على الصحيحين: (١/ ٩١)، (١٠١)، سنن البيهقي الكبرى: (٣/ ١٢٠)، (٥٠٧٣).

(٣) تفسير القرطبي: (١/ ٢٦).

(٤) شُعب الإيمان للبيهقي: (٧/ ١٦٩).

حُرُوفَهُ، وضَيَّعُوا حُدُودَهُ، واستَطالُوا بِهِ على أهلِ بلادِهِم، واستَدَرُّوا بِهِ الوُلاةَ، كَثُرَ هذا الضَّرْبُ من حَمَلَةِ القُرآنِ لا كَثَّرَهُمُ اللهُ! وصِنفٌ عَمَدُوا إلى دَواءِ القُرآنِ فوَضَعُوهُ على داءِ قُلوبِهِم، فرَكَدُوا به في مَحاريبِهِم، وحَنُّوا بِهِ في بَرانِسِهِم[١]، واسْتَشْعَرُوا الخَوفَ؛ فارتَدَوُا الحُزنَ، فأُولَئِكَ الَّذينَ يَسقِي اللهُ بِهِمُ الغَيثَ ويَنصُرُ بِهِم على الأعداءِ، واللهِ لَهَؤلاءِ الضَّرْبُ في حَمَلَةِ القُرآنِ، أعزُّ مِنَ الكِبرِيتِ الأَحمَرِ»[٢].

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «إنِّي لَأَقْرَأُ القُرآنَ وأَنظُرُ في آيِهِ، فيَحِيرُ عَقلِي بها، وأَعجَبُ من حُفَّاظِ القُرآنِ؛ كيفَ يَهْنِيهِمُ النَّومُ، ويَسَعُهُم أن يَشتَغِلُوا بشَيءٍ مِنَ

(١) **انظر**: لسان العرب: (٦/ ٢٦)، وفيه: «**البُرْنُس**: كلُّ ثوب رأْسُهُ منه مُلْتَزِقٌ بهِ، دُرَّاعَةً كان، أَو مِمْطَرًا، أَو جُبَّةً، وفي حديث عمر رضي الله عنه: «سَقَطَ البُرْنُسُ عن رَأْسِي»، هو من ذلك، الجوهري: **البُرْنُسُ**: قَلَنْسُوَة طويلة، وكان النُّسَّاكُ يلبسُونها في صدر الإِسلام، وقد تَبَرْنَسَ الرجل: إِذا لَبِسَه، قال: وهو من البِرْس ـ بكسر الباء ـ القُطن، والنون زائدة، وقيل: إِنه غير عربي»، **وانظر**: الصحاح في اللغة: (١/ ٤١).

(٢) ابن الجوزي في العلل: (١/ ١١٠)، **والكبريت الأحمر**: **أي**: الذهب الخالص، **انظر**: لسان العرب (كبر)، (٥/ ١٢٥).

الدُّنيا وهُم يَتْلُونَ كلامَ اللهِ، أمَا إنَّهُم لو فَهِمُوا ما يَتلُونَ، وعرفُوا حَقَّهُ فتلَذَّذُوا بِهِ، واستَحْلَوُا المُناجاةَ، لَذَهَبَ عَنهُمُ النَّومُ؛ فَرَحًا بما قد رُزِقُوا»[(١)].

• **المَسْأَلَةَ الثَّانِيَةَ: العِلمُ الَّذي نُرِيدُهُ مِنَ القُرآنِ:**

ما العِلمُ الَّذي نُرِيدُهُ مِنَ القُرآنِ؟ أهوَ عِلمُ الصِّناعَةِ؟ أوِ الزِّراعةِ؟ أوِ الإدارةِ؟

يُجِيبُ ابنُ القَيِّمِ عن هذه المسألةِ المُهِمَّةِ بأبياتٍ جميلةٍ؛ يقولُ فِيهَا:

وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الإِلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي
وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ[(٢)]

إنَّنا نريدُ العِلمَ الَّذي يُحقِّقُ لنا النَّجاحَ في الحياةِ، يُحقِّقُ لنا السَّعادةَ، والحياةَ الطَّيِّبَةَ، والنَّفْسَ المُطمَئِنَّةَ، والرِّزقَ الحَلالَ الوَاسِعَ، ويُحَقِّقُ لَنَا الأَمْنَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، نُرِيدُ العِلمَ الَّذي يُوَلِّدُ الإرادةَ والعزيمةَ، ويَقضِي

---

(١) لطائف المعارف: (ص٢٠٣).
(٢) القصيدة النونية: (ص١٨٩).

على كُلِّ مظاهرِ الفَشَلِ والإخفاقِ في جميعِ مجالاتِ الحياةِ، **إنَّهُ**: العِلمُ باللهِ تعالى، والعِلمُ باليومِ الآخِرِ.

العِلمُ باللهِ تعالى أَوَّلُهُ العِلمُ المُقتَضِي للاستغفارِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فالعِلمُ الَّذي يُورِثُ الاستغفارَ، ويَدفَعُ إليهِ هوَ العِلمُ المؤدِّي إلى النَّجاحِ، **وهذا العِلمُ هو**: عِلمُ «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، على وَجهٍ يُحَقِّقُ المقصودَ لَفظًا ومَعنًى.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ ﵄ في تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] ـ: «هُمُ الَّذينَ يَعلَمُونَ أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ(١)».

ولَفْظُ (العِلمِ) مُصطَلَحٌ وَاسِعٌ جِدًّا، وإطلاقاتُهُ كثيرةٌ، وهو لَفظٌ جَذَّابٌ، وكلٌّ يَصطَفِيهِ لنَفسِهِ ويَعتَبِرُ ما عداهُ لَيسَ بعِلمٍ، **ومِن ذلكَ**: أَهلُ العُلُومِ الدُّنيَوِيَّةِ؛ يُسَمُّونَ معارِفَهُم عِلمًا، ويُسَمُّونَ العُلُومَ الأُخرَى ـ بما فيها عُلُومُ الدِّينِ ـ: أَدبًا... إلخ، وكُلُّ ذلكَ يُعتَبَرُ عِلمًا؛ فكُلُّ معرفةٍ عِلمٌ، لكنَّ مجالاتِهِ مُتعدِّدَةٌ، ويُقَيَّدُ فيُقالُ: عِلمُ كَذا، أمَّا إذا

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦/ ٥٤٤).

أُطلِقَ (العِلمُ) عِندَ المسلمِينَ وفي القُرآنِ والسُّنَّةِ خاصَّةً؛ فيُرادُ به ما ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّم.

وأيضًا: شاعَ بَينَ النَّاسِ قَصْرُ هذا العِلمِ على قِسمٍ واحدٍ منهُ؛ وهو العِلمُ بالحَلالِ والحَرامِ، وهذا خَطَأٌ شائِعٌ، فيَقصُرُونَ كُلَّ فَضلٍ وارِدٍ في العِلمِ في القُرآنِ والسُّنَّةِ على عِلمِ الفُرُوعِ؛ **أي**: الفِقهِ، أوِ المسائلِ الخلافيَّةِ من عِلمِ الاعتقادِ، أمَّا الأصولُ المتَّفَقُ عليها، فيُصرَفُ اللَّفظُ عَنهَا، وقد تَجِدُ مَن يُجادِلُ في هذه الحقيقةِ، **فالصَّحيحُ أنَّ العالِمَ حَقًّا**: هو مَن يَخشَى اللهَ تعالى، وإنْ كانَ لا يَعرِفُ كتابةَ اسمِهِ؛ **كما قِيلَ**:

وَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَأَسْتَا

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «كَفَى بخَشْيَةِ اللهِ عِلمًا، وكَفَى بالاغتِرَارِ باللهِ جَهْلًا»[1].

• المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: كَيفِيَّةُ تَحقِيقِ هذا المَقصدِ:

إنَّ ممَّا يُعِينُ على تحقيقِ هذا المَقصدِ أن تَقْرَأَ القُرآنَ كقراءةِ الطَّالِبِ لكتابِهِ ليلةَ الامتحانِ؛ قراءةً مُرَكَّزَةً واعِيَةً، قراءةَ مَن يَستَعِدُّ ليُختَبَرَ فِيهِ اختِبَارًا دَقِيقًا.

---

(١) مفتاح دار السعادة: (١/ ٥١).

إِنَّنا في هذه الحياةِ مُختَبَرُونَ في القُرآنِ؛ فمِنَّا الجادُّ النَّشِيطُ الَّذي يُذاكِرُ هذا الكتابَ باستِمرَارٍ، وأَجوِبَتُهُ حاضرةٌ وراسخةٌ، ومنَّا المهمِلُ المُقصِّرُ اللَّاعِبُ الَّذي إذا سُئِلَ عن شَيءٍ في القُرآنِ، قالَ: «هَاهْ هَاهْ! لَا أَدْرِي».

أَن تَقْرَأَ القُرآنَ قِراءَةَ الإِدَارِيِّ لِلائحةِ النِّظَامِ الَّتي تُنَظِّمُ عَمَلَهُ، وتُحَدِّدَ الإجابَةَ عن كُلِّ مُعامَلَةٍ، ويحتاجُ أن يَرجِعَ إلَيهَا يومِيًّا، إنَّهُ مِنَ المُقرَّرِ أنَّ الإداريَّ النَّاجِحَ هو مَن يَحفَظُ اللَّائحةَ ويَفهَمُهَا فَهْمًا دقيقًا شامِلًا، وبه يَتفوَّقُ المتفوِّقُونَ في الإدارةِ والقيادةِ.

إنَّ القُرآنَ هو الَّذي يَجِبُ الرُّجُوعُ إلَيهِ في كُلِّ مَوقِفٍ من مَواقِفِ حياتِنَا، وعلَيهِ فمَن أرادَ أن يكونَ شَخْصًا ناجِحًا في الحياةِ، فعلَيه بحِفظِهِ وفَهمِ نُصوصِهِ، لِيُمْكِنَهُ الحُصولُ على الإجاباتِ الفَورِيَّةِ والسَّريعةِ والصَّحِيحَةِ في كلِّ حالةٍ تَمرُّ بِهِ في حياتِهِ.

وقد وَرَدَ في القُرآنِ الكريمِ عَدَدٌ مِنَ الصُّوَرِ والنَّماذِجِ لهؤلاءِ النَّاجِحِينَ:

١ ـ من ذلك جوابُ النَّبيِّ ﷺ لأبي بكرٍ رضي الله عنه إذ هُمَا في الغَارِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٢ ـ وجوابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

٣ ـ وجوابُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا دُعِيَ إلى الفحشاءِ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

إنها رُدُودٌ سريعةٌ وحاضرةٌ وقويَّةٌ في أَصعَبِ المواقِفِ الَّتي تَمُرُّ بالإنسانِ، وتَطِيشُ فيها عُقولُ الرِّجالِ، إنَّهُ الثَّباتُ والرُّسُوخُ ممَّن حَفِظُوا كتابَ رَبِّهِم، وفَقِهُوا ما فِيهِ.

• المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: مِن تَطبِيقاتِ مَقصدِ العِلمِ:

أنْ تَضعَ في ذِهنِكَ معانِيَ وأسئلةً مُحدَّدَةً تُريدُ البَحثَ عن جوابِهَا في القُرآنِ، مَثَلُكَ في هذا مَثَلُ: مَن يَسِيرُ في طريقٍ وهو خالِي الذِّهنِ؛ أو مَن يسيرُ وهو يَبحَثُ عن هَدَفٍ مُعيَّنٍ، إنَّهُ مِنَ المُشاهَدِ ـ مَثَلا ـ أَنَّنا نَمُرُّ بالشَّارعِ مِرَارًا وتَكرَارًا فلا نَنْتَبِهُ لوُجودِ مَحلٍّ مُعَيَّنٍ فيهِ، إلى أنْ نَحتاجَ إلَيهِ، فنبدَأَ بالتَّركِيزِ والبَحثِ فنكتَشِفَهُ، وقبلَ ذلكَ لو سُئِلْنَا: هل يُوجَدُ في الشَّارعِ الفُلاني مَكتَبَةٌ؟ فنَقُولُ لَا، ونُؤَكِّدُ أنَّهُ لا يوجَدُ، بَيْنَمَا هي مَوجُودَةٌ، لكن لم نَنتَبِهْ مع أنَّنا مَرَرْنَا بجِوَارِهَا مِئاتِ المَرَّاتِ.

إنَّ كُلَّ مَوقِفٍ أو حَدَثٍ أو حالةٍ تَمُرُّ بِكَ تَسأَلُ نَفسَكَ: أينَ ذُكِرَتْ في القُرآنِ؟ هل وَرَدَتْ في كتابِ اللهِ ﷻ؟

وكم قَرَأْنَا وسَمِعْنَا عَمَّنْ يَندَهِشُ لغِيَابِ مَعنَى آيةٍ مِنَ القُرآنِ عن قَلبِهِ فتَجِدُهُ يَقُولُ: أهذِهِ آيةٌ في القُرآنِ؟! كأنِّي أَسمَعُهَا لأوَّلِ مَرَّةٍ!!

نعم، إنَّ قراءةَ معاني الآياتِ أَمرٌ يَختَلِفُ تَمامًا عن قراءةِ الألفاظِ، ونِسيانُ المعاني وغيابُهَا أَمرٌ يَحصُلُ مع أنَّ اللَّفظَ مَوجُودٌ واللِّسَانَ يَنطِقُ بِهِ ويُكَرِّرُهُ.

• **المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: القُرآنُ والبَرمَجَةُ اللُّغَوِيَّةُ العَصَبِيَّةُ:**

يقولُ الدكتورُ محمد التَّكرِيتِي: «لو كانَ ملتون أريكسون[١] يعرفُ العربيَّةَ، وقَرَأَ القُرآنَ، لَوَجَدَ ضَالَّتَهُ المَنشُودَةَ فيما حاوَلَ أن يَصِلَ إلَيهِ مِنِ استخدامِ اللُّغَةِ في التَّأثِيرِ اللَّاشُعُورِيِّ في الإنسانِ، ذلكَ التَّأثِيرُ الَّذي يُشبِهُ السِّحرَ وما هوَ بِسِحرٍ، فقد سَحَرَ العَرَبَ مُؤمِنَهُم وكافِرَهُم على حَدٍّ سواءٍ، ولم يكونوا في بدايةِ الأَمرِ يَعرِفُونَ سَبَبًا لِذَلِكَ»[٢].

(١) أحد رواد البرمجة اللغوية العصبية.

(٢) آفاق بلا حدود: (ص٢٠١).

وهنا دَعوَةٌ أُوَجِّهُهَا إلى كُلِّ مَنِ اشتَغَلَ بهذا العِلمِ بَحثًا عنِ السَّعادةِ والقُوَّةِ والنَّجاحِ أن يَبحَثَ عنها في القُرآنِ، وأن يُرَكِّزَ جُهُودَهُ وفِكرَهُ لِرَبطِ النَّاسِ بالقُرآنِ العظيمِ الَّذي ما أُنزِلَ إلَّا من أَجْلِ تحقيقِ القُوَّةِ والسَّعادةِ للنَّاسِ، وتحريرِهِم من عبوديَّةِ الشَّهَواتِ والأهواءِ، وجميعِ نِقَاطِ ضَعفِهِم؛ لِيَنْطَلِقُوا في درجاتِ القُوَّةِ والنَّجاحِ في أَرقَى أَشكالِهَا، وأَعلَى صُوَرِهَا.

ولَيسَ مقصودُ البَحثِ بَسْطَ الكلامِ في هذه المسألةِ؛ وإنَّما تَعَرَّضتُ لها لعَلاقتِهَا بتَدبُّرِ القُرآنِ، ولأَنَّها من أبرَزِ المَظاهِرِ الَّتي تُؤَكِّدُ أهميَّةَ معرفةِ مفاتيحِ تدبُّرِ القُرآنِ والانتفاعِ به في الحياةِ(١).

• **المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: لِمَ لا تَكُونُ الدَّعوَةُ بالقُرآنِ:**

لو تَأَمَّلْنَا في حوارِ النَّبيِّ ﷺ مع المَدْعُوِّينَ، وماذا كانَ يَقُولُ لَهُم، لَوَجَدْنَا أَنَّهُ في كثيرٍ مِنَ المَواقِفِ يَكتَفِي بتلاوةِ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكريمِ، ويُحدِثُ هذا أَثَرًا عظيمًا في النُّفُوسِ، لقد كانت قراءةُ النَّبيِّ ﷺ لآيةٍ مِنَ القُرآنِ تَشُدُّ

---

(١) **قد خصصت لبيان هذه القضية رسالة بعنوان:** «البرمجة اللغوية العصبية أو التزكية العلمية القلبية؛ أيُّ الطريقين أقرب للنجاح؟»، أسأل الله أن ييسِّر كتابتها.

الكافرَ والمنافقَ والمُشرِكَ وتُبيِّنُ له الحقَّ، ولا يَقُلْ أحدٌ: إنَّ هذا خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ؛ بل هو مُمكِنٌ لِكُلِّ مَن سَلَكَ سَبيلَهُ واقْتَدَى به، وهوَ بهذا مُستَجِيبٌ لِرَبِّهِ ﷻ الَّذي أَمَرَهُ بذَلِكَ؛ إذ يَقُولُ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ويقولُ تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ويقولُ ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ويقولُ تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢].

فلِمَ لا يكونُ حِوارُنا، وتكونُ خُطَبُنا، وتَنطَلِقُ مواعِظُنا وتدورُ في فَلَكِ آياتِ القُرآنِ الكريمِ، نَبدَأُ بالاستشهادِ بها في كلِّ ما نُرِيدُ إيصالَهُ إلى المَدْعُوِّينَ من تَربيَةٍ وتَعليمٍ.

إنَّ البَعضَ قد يَعتَذِرُ قائِلًا: إنَّ ما تَدعُو إلَيهِ صَعبٌ، ونَحنُ نُشاهِدُ النَّاسَ يَتَأَثَّرُونَ بالقِصَصِ والأمثِلَةِ والنَّماذجِ الحَيَّةِ أكثَرَ من تَأَثُّرِهِم بالقُرآنِ!

فأقُولُ: هذا هوَ أساسُ المشكلةِ الَّتي نُحاوِلُ علاجَها في هذا البَحثِ، **وهو**: لِمَاذا نَتَأَثَّرُ بالقِصَصِ والحكاياتِ، ولا نَتَأَثَّرُ بالآياتِ؟!

إنَّ بَعضَ الدُّعاةِ ممَّنْ يُكثِرُ القِصَصَ يَتَعَلَّلُ بقَولِهِ: إنَّ النَّاسَ لا يُطِيقُونَ أو لا يَفهَمُونَ ذَلِكَ، فنَحنُ نُقَرِّبُ لهمُ الأَمرَ بالقِصَصِ والحكاياتِ والأدبيَّاتِ؛ الَّتي تُؤَثِّرُ في نُفُوسِهِم.

وهذا غَيرُ صَحِيحٍ، فالعَيبُ في الدَّاعِيَةِ نَفسِهِ ولَيسَ في الطَّرِيقةِ أوِ المَنهَجِ، ولَيسَ العَيبُ في النَّاسِ، بل إنَّهُ مَتَى اسْتَشْعَرَ الدَّاعِيَةُ عَظَمَةَ القُرآنِ، وكانَ مُعَايِشًا له مُتعمِّقًا فيه، فإنَّ أثرَ قراءتِهِ لِبِضْعِ آياتٍ لا يُقارَنُ بأَثَرِ قِصَّةٍ أو طُرفَةٍ أو مَشهَدٍ من هُنا وهُناك، وجَرِّبْ تَجِدْ(١).

إنَّها كلمةٌ أُوَجِّهُهَا إلى المُصلِحِينَ، والمُرَبِّينَ، والقَائِمِينَ على مَكاتِبِ الدَّعوةِ، وأقسامِ القُوَّةِ المَعنوِيَّةِ في القطاعاتِ العسكريَّةِ والأَمنِيَّةِ، وحَلَقَاتِ تَحفِيظِ القُرآنِ؛

(١) إنَّ البعض يُناقش في هذه المسألة مع شدَّة وضوحها وقوَّة ظهورها، ومن لا يزال في رَيبٍ ممَّا أقول فليقرأ كتاب: «بالقرآن أسلم هؤلاء»، تأليف: عبد العزيز سيد هاشم، (نشر: دار القلم)، وليقرأ سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه بتمعُّن وعمق؛ ليتبيَّن له الحق، إننا لمَّا فرَّطنا في تطبيق هذه المفاتيح، حِيلَ بيننا وبين القرآن؛ فصرنا لا نتأثَّر به، ولا نستطيع أن نؤثِّر به، فسلكنا طريق القصَّة والقصيدة والفُكاهة والمشهد... إلخ، ممَّا نسمِّيه وسائل الدعوة.

بأن يُرَكِّزُوا جهودَهُم على هذا الأمرِ بألوانٍ وأساليبَ متنوِّعةٍ، فيها تقريبٌ وتَدريبٌ وتَعليمٌ فردِيٌّ يُوصِّلُ المُتَلَقِّيَ إلى هَدَفِ إتقانِ هذه المفاتيحِ العَشَرَةِ قَدْرَ الطاقةِ؛ فإنَّ فِي هذا اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ، وتوفيرًا للأوقاتِ والجُهودِ والأموالِ الَّتي تُصرَفُ على الدَّعوَةِ والإصلاحِ، وفي هذا علاجٌ قَوِيٌّ وسَرِيعُ المفعولِ وطويلُ الأَمَدِ.

إنَّ أيَّةَ وَسِيلَةٍ دَعوِيَّةٍ يجبُ أن تُربَطَ مباشرةً بالقُرآنِ، فإنْ كانَت تُحَقِّقُ فَهْمَ القُرآنِ والتَّأثُّرَ بهِ، حَسُنَ إعمالُهَا، وإلَّا فَتَرْكُهَا أَولَى وأَحرَى.

إنَّ انشغالَ النَّاسِ بمُؤَلَّفاتِ النَّاسِ وطَلَبَهُمُ العافيةَ والشِّفاءَ النَّفسِيَّ والقُوَّةَ المَعنَوِيَّةَ منها، يُشبِهُ أُسلُوبَهُم في التَّغذِيَةِ البَدَنِيَّةِ الجَسَدِيَّةِ؛ حَيثُ اقْتَصَرُوا على أَطعِمَةٍ تُرضِي الذَّوقَ والمِزَاجَ بَينَمَا هي تَهدِمُ الجَسَدَ وتُهلِكُهُ!

• **المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: القُرآنُ يُحْيِي القُلُوبَ كما يُحْيِي المَاءُ الأَرْضَ:**

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، وقد جاءت هذه الآيةُ بعدَ قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ حياةَ القُلُوبِ تكونُ بذِكرِ اللهِ تعالى وما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وهو القُرآنُ، كما أنَّ حياةَ الأرضِ المَيتةِ يكونُ بالماءِ.

قالَ مالكُ بنُ دِينارٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ما زَرَعَ القُرآنُ في قُلوبِكُم يا أَهلَ القُرآنِ؟ إنَّ القُرآنَ رَبيعُ المُؤمِنِ؛ كما أنَّ الغَيثَ رَبيعُ الأَرضِ»(١)، وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ ظاهرٌ للعِيَانِ، ومِنَ المُشاهَداتِ في هذا الأمرِ ما نُشاهِدُهُ مِن زكاةِ القُلُوبِ ورِقَّتِهَا في رمضانَ؛ حِينَ يَتَوَالَى عليها سَماعُ القُرآنِ وقراءتُهُ، ويَكثُرُ القيامُ بهِ في لَياليهِ، ثمَّ إنَّكَ تَرى هذه الحياةَ الَّتي حَصَلَتْ للقُلُوبِ في رَمَضانَ تَبْدَأُ بالتَّلاشِي بالتَّدريجِ بعدَ رَمَضانَ؛ حِينَ تَنقَطِعُ عنِ القيامِ بالقُرآنِ الكريمِ.

فمَن أرادَ حياةَ قَلبِهِ، فَعَلَيهِ بِسَقْيِهِ برَبيعِ القُلُوبِ القُرآنِ بِكَمِّيَّاتٍ وكَيفِيَّاتٍ مُناسِبَةٍ لإحداثِ الحياةِ؛ كما سَيأتي تَفصِيلُهُ في طيَّاتِ هذا البَحثِ.

---

(١) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٨٥).

• المَسْأَلَةُ الثَّامِنَة: وَقْفَةٌ مَعَ آيَةٍ:

وهيَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]:

إنَّ تَزكِيَةَ الإنسانِ وإصلاحَهُ له جهتانِ:

الأُولَى: العِلمُ والتَّعلِيمُ، أوِ الفِكرُ، أوِ المَنطِقُ، أوِ الإقناعُ، أوِ المعتقَدَاتُ... إلخ مِنَ المصطلحاتِ في هذا المَعنَى.

الثَّانية: العَمَلُ، أوِ التَّربِيَةُ، أوِ التَّدرِيبُ، أوِ السُّلُوكُ والعاداتِ... إلخ مِنَ المُصطَلَحاتِ.

والقُرآنُ الكريمُ يُحَقِّقُ الأمرَينِ معًا بأكمَلِ وَجهٍ وأَحسَنِ صُورَةٍ لِمَنْ آمَنَ به، وسَلَكَ الأسبابَ المُوَصِّلَةَ لِذَلِكَ.

إنَّ القُرآنَ الكريمَ بِحَقٍّ هو كتابُ التَّربِيَةِ والتَّعلِيمِ الَّذي يُغنِي عَمَّا سِوَاهُ، ولا يُغنِي عنه غَيرُهُ، ولقد أجادَ ابنُ القَيِّمِ في كتابِهِ «مِفتَاح دارِ السَّعادةِ» في بيانِ هاتَينِ الجِهَتَينِ والعَلاقةِ بَينَهُمَا؛ **فَمِنَ المَعلُومِ المُقَرَّرِ**: أنَّ سُلُوكَ

الإنسانِ وتَصرُّفَاتِهِ لا تَصدُرُ بعفْويَّةٍ أو عَشْوَائِيَّةٍ، وإنَّما تَقُومُ على فِكرٍ ومُعتَقَدٍ، وتَراكُمَاتٍ عِلميَّةٍ بُنِيَتْ على مَرِّ الأيَّامِ، وعلى خِبراتٍ تَمَّ تَخزِينُهَا مع تَكرارِ المَوَاقِفِ والتَّصرُّفاتِ منذُ الطُّفولةِ إلى أن صارَ رَجُلًا، فمَتَى أَردتَّ الطَّريقَ المُختَصَرَ لتَغيِيرِ شَخصٍ، فعَلَيكَ بتَغيِيرِ مُعتقداتِهِ وأفكارِهِ، وعَدَمِ الاقتصارِ على مُلَاحَقَةِ مُفرداتِ سُلُوكِيَّاتِهِ وتَصرُّفاتِهِ[١]، وهذا ما يُحَقِّقُهُ القُرآنُ الكريمُ لِمَنْ أَخَذَ بمَفاتِحِهِ.

❁ الهَدَفُ الثَّاني: قِرَاءَةُ القُرآنِ بقَصدِ العَمَلِ بِهِ:

• المَسْأَلَةُ الأُولَى: أهميَّةُ هذا المَقصدِ:

١ ـ قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: «يَا حَمَلَةَ القُرآنِ (أو: يَا حَمَلَةَ العِلمِ)، اعمَلُوا به؛ فإنَّمَا العَالِمُ مَن عَمِلَ بِما عَلِمَ، ووَافَقَ عِلمَهُ عَمَلُهُ، وسَيَكُونُ أَقوَامٌ يَحمِلُونَ العِلمَ لا يُجَاوِزُ تَراقِيَهُمْ يُخَالِفُ عَمَلُهُم عِلْمَهُم، وتُخالِفُ سَرِيرَتُهُم عَلانِيَتَهُم، يَجلِسُونَ حِلَقًا يُبَاهِي بَعضُهُم بَعضًا، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ على جَلِيسِهِ أن يَجلِسَ إلى غَيرِهِ

---

(١) هذا معنى قول النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ».

ويَدَعَهُ، أُولَئِكَ لَا تَصعَدُ أعمالُهُم في مجالِسِهِم تِلكَ إلى اللهِ تعالى»[(١)].

٢ ـ وعنِ الحَسَنِ البَصرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ **قالَ:** «أُمِرَ النَّاسُ أن يَعمَلُوا بالقُرآنِ فاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا»[(٢)].

٣ ـ وقالَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «اقْرَأِ القُرآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ، فَلَيْسَتْ بِقِرَاءَةٍ»[(٣)].

٤ ـ وقالَ أيضًا: «إنَّ أَولَى النَّاسِ بهذا القُرآنِ: مَنِ اتَّبَعَهُ وإن لم يَكُنْ قَرَأَهُ[(٤)]»[(٥)].

٥ ـ وعن أبي عبدِ الرَّحمَنِ السُّلَمِيِّ، عن عُثمانَ وابنِ مَسعُودٍ، وأُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُقْرِئُهُمُ العَشْرَ، فَلَا يُجَاوِزُونَهَا إلى عَشْرٍ أُخرَى حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ العَمَلِ؛ فَتَعَلَّمْنَا القُرآنَ والعَمَلَ جَمِيعًا»[(٦)].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: (ص٢٠)، كنز العمال: (١٠/ ١٢٠).
(٢) تفسير السمعاني: (٤/ ١١٩)، مدارج السالكين: (١/ ٤٥١)، تلبيس إبليس: (ص١٠٩).
(٣) كنز العمال: (١/ ٣٠٢).
(٤) **أي**: بأن كان لا يقدر على القراءة، أما من قَدَرَ على قراءة القرآن، فلا يتصوَّر أنَّه يترك قراءته.
(٥) قاعدة في فضائل القرآن، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص٥٩).
(٦) تفسير الطبري: (١/ ٣٩)، تفسير القرطبي: (١/ ٦٠).

٦ ـ **ويقولُ الآجُرِّيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «يَتَصَفَّحُ القُرآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفسَهُ، هِمَّتُهُ: مَتَى أَكُونُ مِنَ المُتَّقِينَ؟! مَتى أَكُونُ مِنَ الخَاشِعِينَ؟! مَتى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ؟! مَتى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا؟! مَتَى أَنْهَى نَفْسِي عَنِ الهَوَى؟!»(١).

٧ ـ **وقالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ هذا القُرآنَ قَد قَرَأَهُ عَبِيدٌ وصِبيَانٌ لا عِلمَ لَهُم بتَأوِيلِهِ... وما تَدَبُّرُ آياتِهِ إلَّا باتِّبَاعِهِ، وما هوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وإضاعةِ حُدُودِهِ، حتَّى إنَّ أَحَدَهُم لَيَقُولُ: لَقَدْ قَرَأْتُ القُرآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطتُ مِنهُ حَرْفًا، وقد ـ واللهِ ـ أَسقَطَهُ كُلَّهُ، ما يُرَى القُرآنُ له في خُلُقٍ ولا عَمَلٍ، حتَّى إنَّ أحدَهُم لَيقُولُ: إنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ في نَفَسٍ! واللهِ ما هؤلاءِ بالقُرَّاءِ، ولا بالعُلَماءِ، ولا الحُكَماءِ، ولا الوَرَعَةِ، مَتَى كانَ القُرَّاءُ مِثلَ هَذَا؟! لا كَثَّرَ اللهُ في النَّاسِ مِثلَ هؤلاءِ!»(٢).

٨ ـ **وسُئِلَتْ عائشةُ** رَضِيَ اللهُ عَنهَا **عن قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم: ٤]: **ما كانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ؟ فقالت**: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ؛ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ،

---

(١) أخلاق حملة القرآن: (ص٤٠).

(٢) سنن سعيد بن منصور: (٢/ ٤٢٠)، شعب الإيمان للبيهقي: (٢/ ٥٤١)، الزهد لابن المبارك: (١/ ٢٧٤).

وَيَرْضَى لِرِضَاهُ»[(١)].

٩ ـ جاءَ رَجُلٌ بابنِهِ إلى أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ؛ فَقَالَ: «إنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ جمَعَ القرآنَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غفرًا، إنَّما جَمَعَ القُرْآنَ مَنْ سَمِعَ لَهُ وَأَطَاعَ»[(٢)].

١٠ ـ وعن حُذَيفَةَ ﷺ؛ قالَ: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا؛ فَقَدْ سَبَقْتُم سَبْقًا بَعِيدًا، فإنْ أَخَذْتُم يَمِينًا وشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»[(٣)].

• المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: مفهومُ تَطبيقِ هَذا المَقصدِ وكَيْفِيَّتُهُ:

أن يَقرَأَ القُرآنَ بِنيَّةِ العَمَلِ، بِنيَّةِ البَحثِ عن عِلم لِيَعْمَلَ بِهِ؛ **فيَقِفَ عندَ آياتِهِ يَنظُرُ:** ماذا تَطلُبُ مِنهُ، هل أَمْرٌ يُؤمَرُ بِهِ، أو شَيءٌ يُنْهَى عَنهُ، أو فَضِيلَةٌ يُدعَى للتَّحلِّي بها، أو خَطَرٌ يَحِيقُ به يُحَذَّرُ مِنهُ، وهَكَذَا فإنَّ القُرآنَ هو الدَّلِيلُ

---

(١) صحيح مسلم: (٧٤٦)، وبهذا اللفظ أخرجه: الطبري في تفسيره: (١٨/٢٩)، والإمام أحمد في مسنده: (٦/٢١٦)، وتكلم عليه ابن كثير في تفسيره: (٤/٤٠٣)، وابن حجر في فتح الباري: (٦/ ٥٧٥).

(٢) قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية: (ص٥٩).

(٣) صحيح البخاري: (٧٢٨٢)، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

العَمَلِيُّ لِتَشغِيلِ النَّفْسِ وصيانتِهَا، يَنبَغِي أن يكونَ قَرِيبًا من كُلِّ مُسلِمٍ، يُرَبِّي به نَفْسَهُ ويُهَذِّبُهَا.

أنْ تَقرَأَ القُرآنَ بِنِيَّةٍ وقَصدِ مَن يَبحَثُ عن حَلٍّ لِمُشكِلَةٍ أو إصلاحِ خَلَلٍ، يَبحَثُ عن تفسيرٍ لظاهِرَةٍ أو علاجٍ لِمَرَضٍ، أو تحليلٍ لحالةٍ مِنَ الحالاتِ.

أمَّا إذا كُنَّا نَبْحَثُ عن علاجِ مُشكلاتِنَا التَّربَوِيَّةِ في كُتُبِ فُلانٍ، أو في المَجَلَّاتِ والصُّحُفِ، أوِ القَنَواتِ الفضائيَّةِ... فإنَّنَا بهذا قد عَطَّلْنَا هذا المَقصدَ المُهِمَّ من مَقاصِدِ القُرآنِ.

إنَّ كُلَّ تَربِيَةٍ لا تُبْنَى مباشرةً على القُرآنِ، فهي تَربِيَةٌ قاصرةٌ، ولو أَثمَرَتْ بعضَ الثِّمَارِ مُؤَقَّتًا استِدرَاجًا وابتِلَاءً.

إنَّ تَربِيَةَ النَّاشِئَةِ وتَربِيَةَ الشَّبابِ لا بُدَّ أن تُبْنَى مباشرةً على القُرآنِ بأساليبَ ووسائلَ مناسبةٍ.

إنَّ البعضَ مِنَّا لَمَّا تَعَلَّقَ بالدُّنيَا ومَكاسِبِها المادِّيَّةِ، ابْتُلِيَ وفُتِنَ بعُلُومِ الغربِ وأُطرُوحاتِهِم، وظَنَّ فيها النَّجاحَ والسَّعادةَ، والقُوَّةَ الإداريَّةَ والاقتصاديَّةَ، وهو يَتَأَوَّلُ لِفِعلِهِ هذا بشَتَّى التَّأويلاتِ، ويَحتَجُّ لتَصَرُّفِهِ بكثيرٍ مِنَ الحُجَجِ.

✿ الهَدَفُ الثَّالِثُ: قراءةُ القُرآنِ بِقَصدِ مُناجاةِ اللهِ:

• المَسْأَلَةُ الأُولَى: أَدِلَّةُ المُناجاةِ:

١ ـ عن أبي هُريرَةَ ﷺ؛ أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالقُرْآنِ)[١]، ومعنى أذِنَ؛ أي: اسْتَمَعَ.

٢ ـ وعن فَضالَةَ بنِ عُبَيدٍ ﷺ؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الحَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ القَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ)[٢].

٣ ـ وعن عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ ﷺ؛ قالَ: «سَأَلْتُ سُفيانَ الثَّورِيَّ: قُلتُ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، أَيَّ شَيءٍ يَنْوِي بِقِرَاءَتِهِ وَصَلَاتِهِ؟ قَالَ: يَنْوِي أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ»[٣].

٤ ـ وعنِ البَيَاضِيِّ ﷺ؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وهُم يُصَلُّونَ، وقد عَلَتْ أَصْوَاتُهُم بِالقِرَاءَةِ، فقالَ: (إِنَّ المُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ ﷻ؛ فَلْيَنْظُرْ مَا يُنَاجِيهِ،

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٧٤٣)، (٧١٠٥)، صحيح مسلم: (١/ ٥٤٥)، (٧٩٢).

(٢) سنن ابن ماجه: (١/ ٤٢٥)، (١٣٣٠).

(٣) تعظيم قدر الصلاة: (١/ ٩٢).

وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالقُرْآنِ)[١].

٥ ـ قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أَرَدتَّ الانتفاعَ بالقُرآنِ، فاجمَعْ قَلبَكَ عِندَ تِلَاوَتِهِ وسَماعِهِ، وأَلْقِ سَمْعَكَ، واحْضُرْ حُضُورَ مَن يُخاطِبُهُ بِهِ مَن تَكَلَّمَ بِهِ سُبحانَهُ مِنهُ إلَيهِ؛ فإنَّهُ خِطَابٌ مِنهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ»[٢].

٦ ـ وقالَ قتادةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا أَكَلْتُ الكُرَّاثَ مُنْذُ قَرَأْتُ القُرْآنَ»[٣].

٧ ـ وقالَ يزيدُ بنُ أبي مالِكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ مِن طُرُقِ اللهِ تعالى؛ فَنَظِّفُوهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ»، قالَ: «فَمَا أَكَلْتُ البَصَلَ مُنْذُ قَرَأْتُ القُرْآنَ»[٤].

• المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: كَيفِيَّةُ تَطبِيقِ هذا المَقصِدِ:

تَذَكَّرْ أَنَّهُ يَجتَمِعُ لَكَ في المناجاةِ بالقُرآنِ خمسَةُ معانٍ مَجمُوعَةٌ في قَولِكَ: «حَرَسٌ مَعَ»:

---

(١) مسند الإمام أحمد: (٤/ ٣٤٤)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) الفوائد: (ص١).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد: (ص٥٥)، التذكار: (١٠٨).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد: (ص٥٥)، الدر المنثور: (١/ ٢٧٨)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٧)، **وانظر**: سنن ابن ماجه: (١/ ١٠٦).

(الحاءُ): أنَّ اللهَ يُحِبُّك حِينَ تَقْرَأُ القُرآنَ.

(الرَّاءُ): يَرَاكَ.

(السِّينُ): يَسْمَعُكَ.

(المِيمُ): يَمدَحُكَ.

(العَينُ): يُعطِيكَ.

فاسْتَحْضِرْ هذه المعانِيَ حِينَ القراءةِ، ولا تَدَعْهَا تَفُوتُ عَلَيكَ.

فعلى المُسْلِم أنْ يَستَحضِرَ هذهِ المعانِيَ جَمِيعًا حِينَ قراءتِهِ للقُرآنِ؛ لِكَيْ يَشعُرَ بلَذَّةِ القراءةِ حِينَمَا يَستَحضِرُ أنَّ اللهَ يَرَاهُ ويَستَمِعُ لِقراءتِهِ وهو يَقرَأُ، ويَمدَحُهُ ويُثنِي علَيهِ، ويُبَاهِي به ملائكتَهُ المُقرَّبِينَ.

إنَّ أحدَنا لو ظَنَّ أنَّ رَئِيسَهُ، أو والدَهُ أو أَمِيرًا يَنظُرُ إلى قراءتِهِ ويَمدَحُهُ، لَاجْتَهَدَ في ذلكَ، فكَيفَ والَّذي يَستَمِعُ إلَيهِ ويُثنِي عليه مَلِكُ المُلُوكِ، الَّذي لهُ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأرضِ وما بَينَهُمَا وما تَحتَ الثَّرَى.

فالقارئُ يَستَشعِرُ أنَّ اللهَ يخاطِبُهُ مباشرةً، وأنَّ اللهَ تعالى يَسمَعُ قراءتَهُ، فإذا مَرَّ بآيةٍ فيها تَسبِيحٌ، سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بآيةٍ فيها وَعِيدٌ، استعاذَ، وإذا مَرَّ بسؤالٍ، سَأَلَ.

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ قالَ:** «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ (البَقَرَةَ)، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِندَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضى، فَقُلتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ[١] فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ (النِّسَاءَ)، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ (آلَ عِمْرَانَ)، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»[٢].

هكذا تكونُ المناجاةُ بالقُرآنِ؛ إنَّها قراءةٌ حَيَّةٌ؛ يَعِي فِيهَا العَبدُ ما يَقرَأُ؟ ولِمَ يَقرَأُ؟ ومَن يخاطِبُ بقِرَاءَتِهِ؟ وماذا يَحتَاجُ مِنهُ؟ وما يَجِبُ لهُ نَحوَهُ مِنَ التَّعظِيمِ والتَّقدِيسِ.

تَذَكَّرْ دائمًا إذا مَرَرْتَ بصِفَةٍ من صفاتِ النَّجاحِ والسَّعادةِ أن تَسأَلَ اللهَ تعالى إيَّاهَا، وإذا مَرَرْتَ بصفةٍ من صفاتِ الشَّقاءِ والفَشَلِ والنَّكَدِ والضِّيقِ أن تَستَعِيذَ باللهِ من شَرِّهَا.

إنَّ تَربِيَةَ النَّفْسِ على هذه المقاصِدِ حالَ تلاوةِ القُرآنِ الكريمِ تُقَوِّي فيها مراقبةَ اللهِ تعالى؛ فتَكُونُ حَافِظًا لهُ عند الفِتَنِ.

---

(١) قوله: «يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ»: **أراد بالركعة:** الصلاة كاملة؛ **والمعنى:** يصلِّي بها في تسليمةٍ.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٦)، (٧٧٢)، سنن النسائي (المجتبى): (٣/ ٢٢٥)، (١٦٦٤).

✿ الهدَفُ الرَّابِعُ: قِرَاءَةُ القُرآنِ بقَصدِ الثَّوَابِ:

وَرَدَ في تَرتِيبِ الثَّوابِ على قراءةِ القُرآنِ نُصُوصٌ كثيرةٌ أَذكُرُ طَرَفًا منها؛ للتَّذكيرِ بهذا الأَمرِ المُهِمِّ:

١ - عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)[(١)].

٢ - وعن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: (أَلَا إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عز وجل؛ هُوَ حَبْلُ اللهِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ)[(٢)].

٣ - وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ)[(٣)].

٤ - وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما؛ قالَ: «كَانَ

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ١٧٥)، (٢٩١٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٨٧٣)، (٢٤٠٨).

(٣) سنن الترمذي: (٥/ ٦٦٣)، (٣٧٨٨)، وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: (أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلقُرْآنِ؟)؛ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا، قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ»[(١)].

٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ـ: لَهُ أَجْرَانِ)**[(٢)].

٦ ـ وعن عُثمانَ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)**[(٣)].

٧ ـ وعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه؛ قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ وَأَقْرِئُوهُ؛ فَإِنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ، فَقَامَ بِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا؛ يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ، فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكٍ)**[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٤٥٠).
(٢) صحيح البخاري: (٤/ ١٨٨٢)، (٤٦٥٣)، وصحيح مسلم: (١/ ٥٤٩)، (٧٩٨).
(٣) صحيح البخاري: (٤/ ١٩١٩)، (٤٧٣٩).
(٤) سنن الترمذي: (٥/ ١٥٦)، (٢٨٧٦) وقال: «حديث حسن»، وضعفه الألباني، صحيح ابن حبان: (٥/ ٤٩٩)، (٢١٢٦)، =

٨ - وعن أبي أُمامَةَ رضي الله عنه؛ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(١).

٩ - وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**الصِّيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»(٢).

١٠ - وعن جابرٍ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**»(٣).

= قال شعيب الأرناؤوط: «رجاله ثقات، رجال الصحيح، غير عطاء مولى أبي أحمد».

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٢)، (٨٠٤).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: (٢/ ١٧٤)، (٦٦٢٦)، وصححه أحمد شاكر، مستدرك الحاكم: (١/ ٤٧٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، مصنَّف ابن أبي شيبة: (٦/ ١٢٩)، (٣٠٠٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني: (١/ ٤٨٣)، (٩٦٩).

(٣) صحيح ابن حبَّان: (١/ ٣٣١)، (١٢٤)، مصنَّف عبد الرزَّاق: (٣/ ٣٧٢)، (٦٠١٠)، شُعب الإيمان للبيهقي: (٢/ ٣٥١)، (٢٠١٠).

١١ ـ وعنِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعَانَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ قالَ: (**يَأْتِي القُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ**)(١).

١٢ ـ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ**)(٢).

١٣ ـ وعن عُمَرَ رضي الله عنه؛ قالَ: «أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**)»(٣).

١٤ ـ وعن أبي مُوسَى الأشعريِّ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي**

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٤)، (٨٠٥)، سنن الترمذي: (٥/ ١٦٠)، (٢٨٨٣).

(٢) سنن الترمذي: (٥/ ١٧٧)، (٢٩١٣)، وقال: «حسن صحيح»، المستدرك: (١/ ٧٤١)، (٢٠٣٧) وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٩)، (٨١٧)، سنن ابن ماجه: (١/ ٧٩)، (٢١٨).

لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ[١] كَمَثَلِ التَّمْرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ؛ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ)[٢].

١٥ ـ وعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[٣].

١٦ ـ وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ القُرْآنِ أَخَذُوهُ بِحَقِّهِ وما يَنبَغِي له، لَأَحَبَّهُمُ اللهُ، ولَكِنْ طَلَبُوا به الدُّنيَا؛ فأَبْغَضَهُمُ اللهُ، وهَانُوا على النَّاسِ»[٤].

١٧ ـ وعنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه؛ قالَ: «إِنَّ هَذَا القُرآنَ

---

(١) يعني: أنه أُمِّيٌّ لا يقدر على القراءة، وهو حريص على قراءة القرآن؛ بدليل وصفه بالإيمان؛ فلا يُتصوَّر أبدًا مؤمن يقدر على قراءة القرآن ويهجُر قراءته.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٠٧٠)، (٥١١١)، صحيح مسلم: (١/ ٥٤٩)، (٧٩٧).

(٣) سنن أبي داود: (٢/ ٧١)، (١٤٥٥)، سنن ابن ماجه: (١/ ٨٢)، (٢٢٥)، سنن الترمذي: (٥/ ١٩٥)، (٢٩٤٥).

(٤) تفسير القرطبي: (١/ ٢٠).

مَأْدُبَةُ اللهِ؛ فَخُذُوا مِنهُ ما اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنِّي لا أَعلَمُ شَيْئًا أَصْفرَ مِن خيرٍ مِن بَيتٍ لَيسَ فِيهِ مِن كتابِ اللهِ شَيءٌ، وإِنَّ القَلبَ الَّذي لَيسَ فِيهِ من كتابِ اللهِ شَيءٌ خَرِبٌ كَخَرابِ البيتِ الَّذي لا سَاكِنَ فِيهِ»[1].

١٨ ـ **وقالَ أبو هُرَيرَةَ** رضي الله عنه: «البَيتُ الَّذي يُتْلَى فيهِ كتابُ اللهِ كَثُرَ خَيرُهُ، وحَضَرَتْهُ الملائكةُ، وخَرَجَتْ مِنهُ الشَّيَاطِينُ، والبَيتُ الَّذِي لا يُتْلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ، ضَاقَ بِأَهْلِهِ، وقَلَّ خَيرُهُ، وحَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ، وخَرَجَتْ مِنهُ الملائكةُ»[2].

والنُّصُوصُ في هذا البابِ كثيرةٌ، وإِنَّما قَصَدتُّ أَلَّا يَخلُوَ هذا البَحثُ من طَرَفٍ مِنهَا؛ ليكونَ تَرسِيخًا لِهذا الهَدَفِ من أهدافِ قراءةِ القُرآنِ، ومَن أرادَ التَّوسُّعَ، فعليه بكُتُبِ السُّنَّةِ؛ يَقطِفُ مِنهَا ما لَذَّ وطاب، مِنَ الكلامِ المُسْتطاب؛ فما ذَكرتُهُ هنا غَيضٌ من فَيضٍ، وقليلٌ من كثيرٍ، واللهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ.

---

(١) سنن الدارمي: (٣١٧٣).
(٢) الزهد لابن المبارك: (١/ ٢٧٣)، (٧٩٠).

✿ الهَدَفُ الخَامِسُ: قراءةُ القُرآنِ بقَصدِ الاستِشفاءِ بِهِ:

• المَسْأَلَةُ الأُولَى: أدِلَّةُ هذا المَقصدِ:

١ ـ قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

٢ ـ وقالَ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

٣ ـ وقالَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

٤ ـ وعن عليٍّ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ الدَّوَاءِ القُرْآنُ»(١).

٥ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَخلَ عَلَيْهَا وامْرَأَةٌ تُعَالِجُهَا ـ أَوْ: تَرْقِيهَا ـ فَقَالَ: «عَالِجِيهَا بِكِتَابِ اللهِ»(٢).

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة: (٣٠٩٣)، ضعيف الجامع: (٢٨٨٥).

(٢) صحيح ابن حبان: (١٣/ ٤٦٤)، (٦٠٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٩٣١).

• **المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أنواعُ الشِّفَاءِ بالقُرآنِ:**

الشِّفاءُ بالقُرآنِ أَربَعَةُ أنواعٍ:

الأوَّلُ: شفاءُ النَّفسِ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

الثَّاني: شفاءُ القَلبِ مِنَ الشُّبُهاتِ.

الثَّالثُ: شفاءُ الصَّدرِ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ والقَلَقِ.

الرَّابعُ: شفاءُ البَدَنِ.

فالقُرآنُ شفاءٌ للقُلوبِ من أمراضِ الشَّهَوَاتِ والشُّبُهاتِ والوَساوِسِ كُلِّها القَهرِيِّ مِنهَا وغَيرِهِ(١)، وشفاءٌ للأبدانِ منَ الأسقامِ؛ فمَتَى استَحضَرَ العَبدُ هذا المَقصدَ، فإنَّهُ يَحصُلُ له الشِّفاءانِ: الشِّفاءُ العِلمِيُّ المَعنَوِيُّ، والشِّفاءُ المَادِّيُّ البَدَنِيُّ بإذنِ اللهِ تعالى.

• **المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: كَيفَ يَحصُلُ الشِّفاءُ بالقُرآنِ؟:**

الاستشفاءُ بالقُرآنِ يَكُونُ بأَمرَينِ:

الأوَّلُ: **الرُّقيَةُ بِهِ.**

فالرِّيقُ النَّاتِجُ من تلاوةِ آياتِ القُرآنِ الكريمِ لهُ أَثَرٌ

---

(١) إنَّ تطبيق مفاتح تدبُّر القرآن من أقوى الأدوية في قطع الوساوس المزعجة والتي تُحدِث القلقَ أو الاكتئابَ، وقد انتفعَ به كثيرٌ من الناس؛ هدأت نفوسُهم واطمأنَّت قلوبُهم، ونزلت عليهم السكينة، وحصل لهم السلام النفسيُّ بكلِّ معانيه.

عظيمٌ في القُوَّةِ والنَّشَاطِ، والصِّحَّةِ والعافيةِ، لا يَرقَى إلَيهِ أيُّ خَلطَةٍ من خَلطَاتِ الأَعشَابِ أو مُرَكَّبٍ من مُرَكَّبَاتِ الصَّيادِلَةِ، ولا أَظُنُّ مُسلِمًا يُنكِرُ أَثَرَ النَّفْثِ بالآياتِ في الشِّفاءِ والعلاجِ[١]، ولكنْ لَيسَ من أيِّ أَحَدٍ، وأَيضًا هو مُمكِنٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، مِمَّنْ يَأخُذُ بالأَسبَابِ.

الثَّاني: القيامُ بهِ آناءَ اللَّيلِ وأَطرَافَ النَّهارِ.

وخاصَّةً في جَوفِ اللَّيلِ الآخِرِ، وهذا يُحَقِّقُ شفاءَ القلبِ العِلمِيَّ المعنويَّ النَّفسِيَّ؛ بسَبَبِ ما يَحصُلُ من عُمقٍ في فَهمِ القُرآنِ وفِقهِ آياتِهِ، وفَهمِ النَّفْسِ والحياةِ؛ حَيثُ يَمتَلِئُ القَلبُ بنُورِ اللهِ تعالى وآياتِهِ؛ فيَتَّسِعُ ويَنْشَرِحُ، فلا يَبْقَى فيهِ مَكانٌ للشَّهَوَاتِ، أوِ الشُّبُهاتِ، أوِ الوَسَاوِسِ المُزعِجَةِ المُقلِقَةِ.

إنَّ النَّاسَ بِأَمَسِّ الحاجةِ للاستِشفَاءِ بالقُرآنِ الكريمِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

---

(١) والمسلم يُوقِن بهذا الأثر للقرآن الكريم، وهو أمرٌ مشاهدٌ محسوس، وانتفاع المسلمين به متواترٌ على مرِّ العصور، ولسنا بحاجة لإثبات ذلك بالقصص والتجارِب؛ بل هو يقينٌ علميٌّ خبريٌّ.

إنَّ العلاجَ بالقُرآنِ لهُ تَركِيبَةٌ معيَّنَةٌ، ومقاديرُ مُحَدَّدَةٌ، على مَن أرادَ الشِّفاءَ بِهِ أن يَتَعَلَّمَهَا وأنْ يَتَربَّى علَيها، وإنَّ أيَّ إخلالٍ بهذِهِ التَّركِيبَةِ قد يَحُولُ دُونَ حُصُولِ الشِّفاءِ التَّامِّ، **إنَّ وظيفةَ المفاتيحِ العَشَرَةِ هي**: تَوصِيلُ القُرآنِ إلى القُلوبِ الَّتي في الصُّدُورِ، وبه يَحصُلُ شِفَاءُ النَّفْسِ وعافيةُ البَدَنِ بإذنِ اللهِ تعالى.

• **المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: التَّعامُلُ المباشِرُ مَعَ القُرآنِ:**

إنَّنا يَنبَغِي أن نَتَعَامَلَ مع القُرآنِ مُباشَرَةً؛ فإنَّهُ مُيَسَّرٌ لكُلِّ مَن صَدَقَ في التعامُلِ معَهُ، وجَدَّ في القيامِ بهِ، أمَّا أنْ نَجعَلَ بينَنَا وبَينَ القُرآنِ وُسَطاءَ ونُهمِلَ التَّعامُلَ المباشِرَ معهُ، فهذا غايةُ الحِرمانِ.

تَجِدُ البَعضَ حِينَما يُصابُ بمُصيبةٍ أو يَنزِلُ بِهِ مَرَضٌ يَجُوبُ الآفاقَ، ويَطُوفُ البلادَ بَينَ القُرَّاءِ والمُعالجِينَ، وما عَلِمَ أنَّ الأَمرَ أَقرَبُ من ذلكَ وأَيسَرُ؛ فاللهُ ﷻ حِينَما يَبْتَلِينَا بالشَّدائدِ والمصائبِ، يُرِيدُ مِنَّا أن نَتَضَرَّعَ وأن نَسْتَكِينَ ونَتَذَلَّلَ بينَ يَدَيهِ ﷻ؛ كما قالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]،

والقيامُ الطَّويلُ بالقُرآنِ هوَ من أَهَمِّ صُوَرِ التَّذلُّلِ للهِ تعالى، والتَّضرُّعِ بَينَ يَدَيهِ؛ كما يَحصُلُ في صلاةِ الكُسُوفِ وغيرِهَا؛ فالقيامُ بالقُرآنِ من أَقوَى أسبابِ العافيةِ والشِّفاءِ.





المِفتاحُ الثَّالِثُ

أَنْ تَكُونَ القِرَاءَةُ حِفظًا

❁ المَسْأَلَةُ الأُولَى: أهمِّيَّةُ هذا المِفتَاحِ:

١ ـ قالَ اللهُ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٢ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ)**(١).

ومِنَ المَعلُوم أنَّ البَيتَ الخَرِبَ هو مَأْوَى الشَّياطِينِ؛ فكَذَلِك القَلبُ الخَرِبُ الَّذي لَيسَ فِيهِ شَيءٌ مِنَ القُرآنِ، أمَّا القَلبُ العَامِرُ بحِفظِ القُرآنِ، فلا يَقرَبُهُ شَيطانٌ، وبإذنِ اللهِ تعالى لا يَتَمَكَّنُ من إيذائِهِ.

---

(١) سنن الترمذي: (٥/ ١٧٧)، (٢٩١٣)، وقال: «حسن صحيح»، المستدرك: (١/ ٧٤١)، (٢٠٣٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

٣ ـ وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «إنَّ هذه القُلوبَ أَوعِيَةٌ؛ فَاشْغَلُوهَا بالقُرآنِ ولا تَشْغَلُوهَا بغَيرِهِ»[1].

٤ ـ **مَثَلُ حافِظِ القُرآنِ وغَيرِ الحافِظِ؛ مَثَلُ اثْنَيْنِ في سَفَرٍ، الأوَّلُ**: زَادُهُ التَّمْرُ، **والثَّاني**: زَادُهُ الدَّقِيقُ، **فالأوَّلُ**: يَأكُلُ مَتَى شَاءَ، وهوَ على راحِلَتِهِ، **والثَّاني**: لا بُدَّ له من نُزُولٍ، وعَجْنٍ، وإيقادِ نارٍ، وخَبْزٍ، وانتظارِ نُضْجٍ.

٥ ـ والعِلمُ مِثلُ الدَّواءِ لا يُؤَثِّرُ حتَّى يَدخُلَ الجَوفَ، ويَختَلِطَ بالدَّمِ، وما لم يكُن كذلكَ، فإنَّ أَثَرَهُ مُؤَقَّتٌ.

٦ ـ **ومَثَلُهُمَا مَثَلُ الجهازِ المُزَوَّدِ ببطاريةٍ والجهازِ الَّذي ليسَ كذلكَ؛ الأوَّلُ**: يُمكِنُهُ أن يَعملَ في أيِّ مكانٍ، **أمَّا الثَّاني**: فلا بُدَّ من مَصدَرِ كهرباء.

٧ ـ **وقالَ ابنُ تَيمِيَّةَ** رحمه الله: «أَنَا جَنَّتِي وبُستانِي في صَدرِي؛ أَنَّى رُحْتُ فَهِيَ مَعِي»، وهو يُرِيدُ بذلكَ القُرآنَ والسُّنَّةَ الَّتي في صَدرِهِ؛ تُثَبِّتُهُ وتَزِيدُهُ يَقِينًا.

٨ ـ **وقالَ سَهلُ بن عبدِ اللهِ لِأَحَدِ طُلَّابِهِ**: «أَتَحفَظُ

---

(١) مصنَّف ابن أبي شيبة: (٦/ ١٢٦)، (٣٠٠١١)، (٧/ ١٠٦)، (٣٤٥٥١)، مسند أحمد بن حنبل: (٢/ ١٧٧)، (٦٦٥٥).

القُرآنَ؟ قالَ: لَا؟ قالَ: واغَوْثَاهُ لِمُؤْمِنٍ لَا يَحْفَظُ القُرآنَ! فَبِمَ يَتَرَنَّمُ؟! فَبِمَ يَتَنَعَّمُ؟! فَبِمَ يُنَاجِي رَبَّهُ؟!»[(١)].

٩ ـ ويقولُ أبو عبدِ اللهِ بنُ بِشرٍ القَطَّانُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ انْتِزَاعًا لِمَا أَرَادَ مِن آيِ القُرآنِ من أبي سَهلِ بنِ زِيَادٍ، وكان جَارَنَا، وكَانَ يُدِيمُ صلاةَ اللَّيلِ، وتلاوةَ القُرآنِ، فلِكَثْرَةِ دَرسِهِ صَارَ القُرآنُ كَأَنَّه بينَ عَيْنَيْهِ؛ يَنتَزِعُ مِنهُ مَا شَاءَ مِن غيرِ تَعَبٍ»[(٢)].

هذا المقصودُ من كَونِ الحِفظِ أَحَدَ مَفاتِحِ التَّدبُّرِ؛ لأَنَّهُ مَتَى كانتِ الآيةُ مَحفُوظَةً، كانت حاضرةً؛ فيَسهُلُ تَنزِيلُهَا على النَّوازِلِ والمَواقِفِ الَّتي تَمُرُّ بالشَّخصِ في الحياةِ اليَومِيَّةِ بِشَكلٍ سريعٍ ومباشِرٍ، أمَّا إذا كانَ القُرآنُ في الرُّفُوفِ فقط؛ فكَيفَ يُمكِنُنَا أن نُطَبِّقَهُ على حياتِنَا؟

❁ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: العَلاقةُ بَينَ الحِفظِ والتَّدبُّرِ:

إنَّ علاجَ أَيَّةِ مُشكلةٍ لهُ ثَلاثُ صُوَرٍ:

الأُولَى: المعالجةُ الذِّهنِيَّةُ المجرَّدَةُ الشَّفهِيَّةُ، من غيرِ تَحريرٍ ولا تَرتِيبٍ للحُلُولِ.

---

(١) حلية الأولياء: (١٠/ ٣٤٣).

(٢) تاريخ بغداد: (٥/ ٤٥)، سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٥٢١).

الثَّانيةُ: المعالجةُ المكتوبةُ المحرَّرَةُ المُرَتَّبَةُ.

الثَّالثةُ: المعالجةُ الذِّهنِيَّةُ لشَيءٍ مكتوبٍ من قبلُ ومحرَّرٍ؛ **بمَعنَى**: حِفظِ ما تَمَّ التَّوصُّلُ إليهِ في علاجِ المشكلةِ كِتَابِيًّا.

والصورةُ الثَّالثةُ هي أَقوَاهَا، تَلِيهَا الثَّانيةُ، ثُمَّ الأُولَى.

وحِفظُ القُرآنِ وتكرارُ قراءتِهِ مِنَ النَّوعِ الثَّالثِ؛ فترديدُ الآيةِ والتَّفكُّرُ فيها وهيَ محفوظةٌ أَفضَلُ من تَكرَارِهَا نَظَرًا؛ لأنَّ مفعولَ الطَّريقةِ الثَّالثةِ يَستَمِرُّ، بَينَما الثَّانيةُ يَقِفُ عندَ إغلاقِ المُصحَفِ.

إنَّ الهَدَفَ مِن حِفظِ القُرآنِ حِفظُ ما تَضَمَّنَهُ مِنَ العِلمِ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، ذَلِكُمُ العِلمُ الَّذي يعالِجُ جميعَ قضايا الحياةِ، ويَحُلُّ كُلَّ المشاكلِ، ويُحَقِّقُ السَّعادةَ والحياةَ الطَّيِّبَةَ للإنسانِ، ويُحَقِّقُ لهُ الثَّباتَ في الأزماتِ، والقُوَّةَ للأُمَّةِ في مواجهةِ أعدائِهَا، هذا هوَ الهَدَفُ الأَهَمُّ لحفظِ القُرآنِ، والَّذي يَنبَغِي أن يُرَكِّزَ علَيهِ القائمونَ على التَّربيةِ.

إنَّ حِفظَ الألفاظِ وسيلةٌ وليسَ غايَةً؛ وسيلةٌ إلى حِفظِ المعانِي، والانتفاعِ بها في الحياةِ.

إنَّ الاقتصارَ على حِفظِ الألفاظِ قُصورٌ في حَقِّ القُرآنِ العظيمِ، وانحرافٌ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ في رعايتِهِ والانتفاعِ بهِ في الحياةِ الدُّنيَا والآخرةِ.

• تَنْبِيه:

كانَ الحِفظُ التَّربويُّ أحدَ مسائلِ هذا المِفتاحِ، **وقد أفردتُّهُ بكتابٍ مستقلٍّ بعنوانٍ:** «الحِفظُ التَّربويُّ للقُرآن، وصناعةُ الإنسان».





المِفتاحُ الرّابِعُ

القِيَامُ بِالقُرآنِ

✿ **المَسْأَلَةُ الأُولى: نُصُوصٌ تُؤَكِّدُ أهمِّيَّتَهُ:**

إنَّ هذا المفتاحَ من أَهَمِّ مفاتحِ تَدبُّرِ القُرآنِ، وأعظَمِهَا شَأنًا، وقد وَرَدَ عددٌ مِنَ النُّصُوصِ تَدُلُّ علَيهِ، وتُؤَكِّدُ أهمِّيَّتَهُ؛ **من ذلك:**

١ ـ قَولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ دَلَّتِ الآيةُ على أنَّ التَّهجُّدَ بالقُرآنِ طريقٌ للوُصُولِ إلى المقاماتِ العاليةِ في الآخرةِ، والآيةُ خِطَابٌ للنَّبيِّ ﷺ ولِأُمَّتِهِ، وإنْ كانَ مَقامُهُ ﷺ أعلَى من مقامِ بَقِيَّةِ المؤمنِينَ.

٢ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥]؛ فدَلَّتِ الآيةُ على أنَّ القيامَ بالقُرآنِ هو السَّبيلُ لتَحَمُّلِ الأحمالِ

الثَّقيلةِ؛ سواءٌ في ذلكَ الدِّينيَّةُ أوِ الدُّنْيَويَّةُ، فهو الطَّرِيقُ لمواجهةِ وحَلِّ مشاكلِ الحياةِ كُلِّهَا وصُعُوباتِها.

٣ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]؛ فأَثنَى اللهُ تعالى على الثُّلَّةِ من أهلِ الكتابِ الَّذينَ يَقُومُونَ بآياتِهِ لَيلًا.

٤ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ٩]؛ دَلَّتِ الآيةُ على أنَّ العلماءَ هُمُ الَّذينَ يَقُومُونَ بالقُرآنِ لَيلًا، وأنَّهم أعلَى مكانًا وأَرفَعُ مَكانَةً.

٥ ـ وقالَ النَّبيُّ ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ؛ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا؛ فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ)[١].

أَكَّدَ النَّبيُّ ﷺ على أنَّ التَّنافُسَ والتَّسابُقَ والشَّرَفَ

(١) صحيح البخاري: (١/٣٩)، (٧٣)، (٤/١٩١٩)، (٤٧٣٧)، (٤/١٩١٩)، (٤٧٣٨)، صحيح مسلم: (١/٥٥٩)، (٨١٥).

لا يَصِحُّ أن يكونَ إلَّا في أَمرَينِ اثْنَيْنِ لا ثَالِثَ لهما، وهُما الطَّرِيقُ لكُلِّ الفَضائِلِ الأُخْرَى:

الأَوَّلُ: القيامُ بالقُرآنِ؛ وهو الطَّرِيقُ إلى العِلمِ والإيمانِ.

الثَّاني: إنفاقُ المالِ في سبيلِ اللهِ تعالى.

والثَّاني مُتَوقِّفٌ على الأوَّلِ.

وانظُرْ إلى قَولِهِ: **(يُنفِقُهُ)** مع قولِهِ: **(يَقُومُ بِهِ)**؛ فيُؤخَذُ منه أنَّ مَن آتاهُ اللهُ القُرآنَ ولم يَقُمْ به؛ **أيْ**: لم يَقْرَأْهُ في صَلاةٍ، هوَ مِثلُ مَن آتاهُ اللهُ مَالًا ولم يُنفِقْهُ؛ ويُؤَكِّدُ هذا الحديثُ الآتي:

٦ - عن أبي هُرَيرَةَ ﵁؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ وَأَقْرِئُوهُ؛ فَإِنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ، فَقَامَ بِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا؛ يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ، فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكٍ)**[1]؛ فَدَلَّ هذا الحديثُ على أنَّ

(١) سنن الترمذي: (٥/١٥٦)، (٢٨٧٦) وقال: «حديث حسن»، وضعفه الألباني، صحيح ابن حبان: (٥/٤٩٩)، (٢١٢٦)، قال شعيب الأرناؤوط: «رجاله ثقات، رجال الصحيح، غير عطاء مولى أبي أحمد».

مَن آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فرَقَدَ ولم يَقُمْ به، فهو مِثلُ مَنِ اشْتَرَى طِيبًا وتَرَكَهُ مُغْلَقًا ولم يَستَخْدِمْهُ، ويُبَيِّنُ الحديثُ التَّالي الهدفَ منَ القيامِ بالقُرآنِ، وسببَ هذا الفَرقِ الكبيرِ بَيْنَ مَن يقومُ به، ومَن لا يَقُومُ بِهِ.

٧ ـ عنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قالَ: (**إِذَا قَامَ صَاحِبُ القُرْآنِ، فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**)[1]؛ فنَصَّ النَّبيُّ ﷺ على أنَّ الطَّريقَ إلى حِفظِ القُرآنِ وتَذَكُّرِ مَعانِيهِ وتَثْبِيتِهَا في القَلبِ هوَ القيامُ بالقُرآنِ؛ أي: قِرَاءَتُهُ في صلاتِهِ، ثُمَّ أَكَّدَ الطَّرَفَ الآخَرَ مِنَ القضيَّةِ؛ وهو: أنَّ عَدَمَ القيامِ سَبَبُ النِّسيانِ، فلم يَدَعْ بذلك مَجالًا للشَّكِّ في أهميَّةِ وَعَظَمَةِ هذا المِفتاحِ من مفاتِحِ تدبُّرِ القُرآنِ.

إنَّ حفظَ معاني القُرآنِ ورُسوخَهَا في القَلبِ، وكَونَهَا حاضرةً في القَلبِ في كُلِّ آنٍ، وخاصَّةً في المواقِفِ الصَّعبةِ في الحياةِ، مواقِفِ الشِّدَّةِ والذُّهولِ، المواقِفِ الَّتي يُفتَنُ فيها المَرءُ ويُمتَحَنُ ويُختَبَرُ ـ: هو المقصودُ من إنزالِ القُرآنِ؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥٤٤)، (٧٨٩).

فمَن كانَ يَقُومُ بالقُرآنِ آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهارِ، تَجِدُ إجاباتِهِ حَاضِرَةً وسريعةً وقويَّةً، تَجِدُهُ وَقَّافًا عندَ كتابِ اللهِ تعالى، وأمَّا مَن كانَ مُفَرِّطًا في استخدامِ هذا المفتاحِ، فما أَسرَعَ ما يَسقُطُ ويَهوِي.

فمَن تَرَبَّى على هذا المفتاحِ - وخاصَّةً مِنَ الصِّغَرِ - سَهُلَ علَيهِ الانتفاعُ بهِ في الحياةِ، أمَّا مَن لم يَتَرَبَّ علَيهِ، فإنَّهُ تَضِيقُ به الحياةُ في حالِ الشِّدَّةِ، وتَضِيعُ علَيهِ الحياةُ حالَ الرَّخاءِ.

ولو لم يكُن في القراءةِ داخِلَ الصَّلاةِ إلَّا الانقطاعُ عنِ الشَّواغِلِ والمُلهِيَاتِ، لَكَفَى؛ فإنَّ المُصَلِّيَ إذا دَخَلَ في الصَّلاةِ، حَرُمَ علَيهِ الكَلامُ والالتفاتُ والحركةُ من غيرِ حاجةٍ؛ فهذا أعوَنُ على التَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ وأَجمَعُ للقَلبِ، وأيضًا فإنَّ مَن حَولَهُ لا يُقاطِعُهُ ولا يَشغَلُهُ ما دامَ في صلاتِهِ.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: اجتماعُ القُرآنِ والصَّلاةِ هو الحياةُ:

إنَّ اجتماعَ القُرآنِ مع الصَّلاةِ يُمكِنُ أن يُشَبَّهَ باجتماعِ الأكسُجِين مع الهَيدرُوجِين؛ حيثُ يَنشأُ من تَركِيبِهِمَا الماءُ الَّذي به حياةُ الأبدانِ؛ فكذلكَ اجتماعُ القُرآنِ مع الصَّلاةِ يَنشأُ عنهُ ماءُ حياةِ القَلبِ وصِحَّتِهِ وقُوَّتِهِ.

لذَلِكَ جاءَ التَّأكِيدُ على هذا المعنَى في القُرآنِ كثيرًا؛ إمَّا بالعبارةِ أو بالإشارةِ؛ أي: التَّنبِيهِ على أنَّ الطريقَ إلى القُوَّةِ والنَّجاحِ في الحياةِ في اجتماعِ القُرآنِ والصَّلاةِ؛ **فمن ذلك**:

١ ـ قَولُ اللهِ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦]؛ فالصَّبْرُ هو ثَمرةُ العِلم، والعِلمُ وَسِيلَتُهُ القراءةُ بتَدبُّرٍ، وهوَ حاصلٌ لِمَنْ قَرأَ القُرآنَ في صلاةٍ.

٢ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٣ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فهذهِ الآيةُ نَصٌّ صريحٌ على المعنَى المرادِ.

٤ ـ وقَولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]؛ فدلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ مَن جَمعَ هذه الأُمورَ الثَّلاثةَ، حَصَلَتْ له التِّجارةُ الرَّابحةُ.

٥ ـ وقولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ...﴾ الآياتِ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]؛ وهذه الآياتُ نَصٌّ على أنَّهُ لا يَثبُتُ في هذهِ الحياةِ وتَحصُلُ لهُ القُوَّةُ إلَّا مَنِ اتَّصَفَ بهذهِ الصِّفاتِ؛ **الَّتي مِن أوَّلِها**: كَثرَةُ الصَّلاةِ ودَوامُهَا.

٦ ـ و«كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ»، ويُطِيلُ فيها قراءةَ القُرآنِ، كما في صلاةِ الكُسُوفِ؛ وهذا دليلٌ على أنَّ القُرآنَ معَ الصَّلاةِ هُما المَفزَعُ إلى اللهِ تعالى؛ لدَفعِ الضُّرِّ، وجَلبِ النَّفعِ، وهذا عَينُ النَّجاحِ في الحياةِ في الدُّنيا والآخرةِ.

٧ ـ **يقولُ الشَّيخُ عطيَّة سالم رَحِمَهُ اللهُ عن شيخِهِ الشِّنقيطِيِّ**: «وقد كانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ لا يَترُكُ وِرْدَهُ مِنَ اللَّيلِ صَيْفًا أو شِتَاءً، وقد أفادَ هذا المعنَى قَولُهُ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؛ «فكانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاةِ»، وهكذا هنا فإنَّ ناشِئَةَ اللَّيلِ كانت عَوْنًا له ﷺ على ما سَيُلْقَى عليهِ من ثِقَلِ القَولِ»[١].

---

(١) تتمَّة أضواء البيان: (٨/ ٤٧٨).

۞ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: القيامُ بالقُرآنِ وقِيامُ اللَّيلِ:

هل هناكَ فَرقٌ بَينَ القيامِ بالقُرآنِ وقيامِ اللَّيلِ؟

للجَوابِ عن هذا السُّؤالِ نَقُولُ:

إنَّ القيامَ بالقُرآنِ لهُ مَعنيَانِ:

الأوَّلُ: **عامٌّ**؛ وهوَ القيامُ بحَقِّ القُرآنِ وتَطبِيقُهُ والعَمَلُ بهِ.

والثَّاني: **خاصٌّ**؛ وهو المقصودُ في هذا السُّؤالِ، وهو قراءتُهُ في قيامٍ؛ **أيْ**: في صلاةٍ، فإذا كانَ القيامُ بالقُرآنِ لَيلًا فلا فَرقَ بينَهُما، هذا هو الأَصلُ، لكن وُجِدَ مِنَ البَعضِ مَن قَصَرَ مَعنَى قيامِ اللَّيلِ على الصَّلاةِ دُونَ العنايةِ بالقُرآنِ، وقَصْدِ تَدَبُّرِهِ، وكثرةِ قراءتِهِ في صلاتِهِ؛ فلِذَلِكَ تَرَى قراءتَهُ للقُرآنِ في صلاتِهِ باللَّيلِ لا يُطبِّقُ فيها أيًّا من مفاتيحِ التَّدبُّرِ، مِن أَجْلِ ذلكَ تَرَى انتفاعَهُ بمِثلِ هذا القيامِ مَحدُودًا وضَعِيفًا.

فعن ثَوْبانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**(لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عز وجل هَبَاءً مَنْثُورًا)**، قَالَ ثَوْبانُ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ! قَالَ: **(أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ،**

وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ، انْتَهَكُوهَا»[1].

لذلكَ لا تَستَغرِبْ أنَّهُ رُبَّمَا وُجِدَ مَن يَقُومُ اللَّيلَ، وفي النَّهارِ يَأكُلُ الرِّبَا، ويَستَحِلُّ حُقُوقَ النَّاسِ، ويَغُشُّ ويَخدَع، ويَكذِبُ ويُنَافِقُ، ويَجزَع، ويَتَسَخَّطُ ويَقلَقُ... إلخ من مظاهرِ الضَّعفِ والفَشَلِ في الحياةِ، وقد سَمِعْتُ مَن يَشكُو حالَهُ في أنَّهُ يَقَعُ في بعضِ المُنكَراتِ معَ أنَّهُ يَقُومُ اللَّيلَ، فالسَّبَبُ أنَّ قيامَهُ قيامُ لَيلٍ، ولَيسَ قِيامًا بالقُرآنِ؛ فهو خالٍ من أيِّ عِلمٍ أو إيمانٍ، إنَّهُ قيامٌ أجوَفُ، مُجَرَّدُ حَركاتٍ، لا يَعقِلُ مِنهَا شَيْئًا، **وقد وَرَدَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ** رضي الله عنهما **قَولُهُ**: «رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيرٌ مِن قِيَامِ لَيْلةٍ والقلبُ ساهٍ»[2]؛ **المعنَى**: أنَّهُ رُبَّمَا وُجِدَ منَ البَعضِ قَصدُ تَكثِيرِ الرَّكعاتِ والتَّسليماتِ دُونَ عنايةٍ بإقامتِهَا على الوَجهِ الصَّحيحِ، وقد تَجِدُ مَن يُصَلِّي عَشْرَ رَكَعَاتٍ في عَشْرِ دَقائِقَ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢/١٤١٨)، (٤٢٤٥). وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: (٥٠٥)، وفي صحيح الجامع برقم: (٥٠٢٨)، وقال: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقال المنذري (٣/١٧٨): «رواه ابن ماجه، ورواته ثقات»، وقال البوصيري في الزوائد: (ق٢٦٢/١): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد: (ص٩٧)، (٢٨٨).

وأيضًا: وُجِدَ من بَعضِ حُفَّاظِ القُرآنِ مَن جَعَلَ الصَّلاةَ وَسِيلَةً لمُرَاجَعَةِ حِفظِهِ دُونَ أن يَعِيَ عظيمَ قَدْرِ الصَّلاةِ؛ فتراهُ قد قَصَرَ هَمَّهُ على قراءةِ أكبَرِ قَدْرٍ مِن حِفظِهِ في القيامِ، ثُمَّ يَخطِفُ بَقِيَّةَ الأركانِ خَطْفًا؛ لا يَطمَئِنُّ فيها ولا يُقِيمُهَا على الوَجهِ المَطلُوبِ، وهذا مِنَ العجائبِ، ولَولَا أنَّهُ وُجِدَ، لَمَا ذَكَرْتُهُ هنا، والسَّبَبُ في مِثلِ هذه الحالةِ هو أنَّهُ لَمَسَ فِعلًا أَثَرَ الصَّلاةِ في تَثبِيتِ الحِفظِ؛ فَقَصَرَ هَمَّهُ ونِيَّتَهُ على هذا الأمرِ.

وبَعضُ الأئمَّةِ في صلاةِ التَّراويحِ والقيامِ في رَمَضَانَ يُطِيلُونَ القراءةَ مع سُرعةٍ عاليةٍ، ثم يُطَفِّفُونَ بقيَّةَ الأركانِ، والقَصدُ من هذا تَحصِيلُ ختمِ القُرآنِ والدُّعاءُ عِندَ ذلكَ[1]، فهل مِثلُ هذه القراءةِ تَلِيقُ بالقُرآنِ الكريمِ؟! وهل تَمَّ تَحصِيلُ المقصودِ منَ القيامِ بالقُرآنِ؟!

✿ المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: ثَوابُ القيامِ بالقُرآنِ:

ومِن النصوصِ الواردةِ في ذلك:

١ ـ قَولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢ ـ وقولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

---

(١) وتجدُ بعضَ هؤلاء يُهمِل كثيرًا من الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء!

وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

٣ ـ وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن رسولِ اللهِ ﷺ؛ أنَّهُ قالَ: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِين، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ القَانِتِين، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِين)(١).

٤ ـ وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟)، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: (فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ)»(٢).

✿ المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: الصَّلاةُ دُخُولٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى وقُرْبٌ مِنهُ:

دَلَّتْ نُصُوصٌ على أنَّ العَبْدَ إذا دَخلَ في الصَّلاةِ، فإنَّهُ يَزدَادُ قُربًا مِنَ اللهِ تعالى، وأنَّهُ سُبحانَهُ يُقبِلُ عليهِ بوَجهِهِ؛ مِن ذَلِكَ:

---

(١) صحيح ابن حبان: (٦/ ٣١٠)، صحيح ابن خزيمة: (٢/ ١٨١)، (١١٤٤)، سنن أبي داود: (٢/ ٥٧)، (١٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٢)، (٨٠٢).

١ ـ ما جاءَ عن أَنَسٍ رضي الله عنه؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: (**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ مُنَاجٍ رَبَّهُ، وَرَبُّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ**)[١].

٢ ـ وعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّهُ مُسْتَقْبِلٌ رَبَّهُ**)[٢].

٣ ـ **قالَ ابنُ جُرَيجٍ**: «قُلتُ لِعَطَاءٍ: أَيَجْعَلُ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ أَو ثَوبِهِ؟ قَالَ: لَا، قُلتُ: مِن أَجْلِ أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ؟ قالَ: نَعَمْ، وأُحِبُّ أَلَّا يُخَمِّرَ فَاهُ»[٣].

٤ ـ **قالَ عَطاءٌ**: «بَلَغَنَا أَنَّ الرَّبَّ يَقُولُ: إِلى أَينَ تَلْتَفِتُ؟ إِلَيَّ يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنِّي خَيرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ»[٤].

❁ المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: مَقاصِدُ الصَّلاةِ:

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى، قامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قالت

---

(١) صحيح البخاري: (١/٤٠٦)، (١١٥٦).
(٢) صحيح مسلم: (١/٣٩٠)، (٥٥١).
(٣) تعظيم قدر الصلاة: (١/ ١٩٠).
(٤) تعظيم قدر الصلاة: (١/ ١٩٠).

عائشةُ ﵂: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»**[1].

إنَّ بَعضَ النَّاسِ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ المَفرُوضَةَ على أنَّها واجِبٌ يُؤَدِّيهِ، ورُبَّمَا صَلَّى بَعضَ النَّوافِلِ؛ طَمَعًا في زيادةِ الثَّوابِ والحَسَنَات، أو تَكفِيرِ الذُّنُوبِ ومَحْوِ السَّيِّئَات، نَعَمْ هذه بعضُ مقاصِدِ الصَّلاةِ، وبهذا الفَهمِ كانت عائشةُ ﵂ تَنظُرُ إلى الصَّلاةِ، وهي ما زَالَتْ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ - فلِذَلِكَ تَعَجَّبَتْ مِن كَثرَةِ صَلاةِ النَّبيِّ ﷺ - فكانت تَظُنُّ أنَّ مَن غُفِرَتْ ذُنوبُهُ لا يَحتَاجُ إلى الاجتهادِ في الصَّلاةِ، فجاءَ تَوجِيهُ العَالِمِ بِرَبِّهِ، العَارِفِ بما يَجِبُ لهُ نَحوَهُ، فقالَ كَلِمَتَهُ العظيمةَ: **«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»**.

لِكَي تكونَ صلاتُنَا قُرَّةً لأَعْيُنِنَا، وبَهجَةً ولَذَّةً لأَنفُسِنَا، عَلَيْنَا أن نَتَفَقَّهَ في مقاصِدِ الصَّلاةِ، وهذا يَحصُلُ بتَدَبُّرِ نُصوصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ الوَارِدَةِ في هذا المعنَى، ولَيسَ هذا مَوضِعَهُ، لكنْ أَردتُّ التَّذكِيرَ بهِ، والتَّأكِيدَ عَلَيهِ؛ لِمَا لَهُ من أهميَّةٍ عظيمةٍ لا يَصِحُّ أن تَفُوتَ.



---

(١) صحيح البخاري: (٤/ ١٨٣٠)، صحيح مسلم: (٤/ ٢١٧٢).



المِفتاحُ الخامِسُ

أن تكونَ القِراءَةُ في لَيلٍ

• مُقَدِّمَة:

إنَّ اللَّيلَ - وخاصَّةً وَقتَ السَّحَرِ - من أَفضَلِ الأَوقاتِ للتَّذكُّرِ، فالذَّاكِرَةُ تكونُ في أَعلَى مُستَوًى؛ بسَبَبِ الهدوءِ والصَّفاءِ، وبسَبَبِ بَرَكَةِ الوَقتِ؛ حيثُ النُّزُولُ الإِلَهِيُّ، وفَتحُ أبوابِ السَّماءِ، فأيُّ أَمرٍ تُرِيدُ تَثْبِيتَهُ في الذَّاكرةِ بحَيثُ تَتَذَكَّرُهُ خلالَ النَّهارِ، فَقُمْ بمُرَاجَعَتِهِ في هذا الوَقتِ، وقدِ استفادَ من هذا أهلُ الدُّنيا من أهلِ السِّيَاسَةِ والاقتصادِ وخاصَّةً في الغَرْبِ؛ حيثُ ذَكَرَ عددٌ مِنهُم أنَّهُ يَقُومُ بمُراجعةِ لَوائِحِهِ، أو حِسَاباتِهِ، أو معاملاتِهِ وأوراقِهِ في مِثلِ هذا الوَقتِ، وأنَّهُ يُوَفَّقُ للصَّوابِ في قراراتِهِ.

إنَّ أهلَ القُرآنِ - أهلَ الآخرةِ - أَولَى باغتِنَامِ هذهِ الفُرصَةِ؛ لتَثبِيتِ إيمانِهِم وعِلمِهِم.

وإنَّ مِنَ الحقائقِ التَّاريخيَّةِ الجديرةِ بالدِّراسَةِ

والتَّأمُّلِ ـ: تِلكَ العَلاقةَ بَينَ قُوَّةِ المسلمِينَ وبينَ قيامِهِم بالقُرآنِ في اللَّيلِ، فمِن خلالِ تأمُّلٍ سريعٍ تَجِدُ أنَّ انتصاراتِ المسلمِينَ وُجِدَتْ حِينَما كانت جنودُهُ تُوصَفُ بأنَّهُم: «رُهبَانٌ باللَّيلِ، فُرسَانٌ في النَّهارِ»، أمَّا إن كانوا سُمَّارًا باللَّيلِ خُوَّارًا بالنَّهارِ فأنَّى يُنصَرُونَ؟!

✿ المَسْأَلَةُ الأُولَىٰ: نُصُوصٌ تُؤَكِّدُ أهمِّيَّتَهُ:

ممَّا يَدُلُّ على كَونِ القراءةِ في اللَّيلِ أحدَ مفاتحِ التَّدبُّرِ:

١ ـ قَـولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢ ـ وقَولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «هُوَ أجدَرُ أن يَفْقَهَ القُرآنَ»[1]، ومعنَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: القِيامَ بعدَ النَّومِ، وبه تَجتَمِعُ رَاحَةُ البَدَنِ والرُّوحِ؛ فيَحصُلُ بذلك اجتماعُ القَلبِ على قراءةِ القُرآنِ وتدبُّرِهِ، أمَّا القراءةُ حِينَ التَّعَبِ والإجهادِ، فإنَّ التَّدبُّرَ والفَهمَ يَكُونُ ضَعِيفًا[2].

---

(١) سنن أبي داود: (١٣٠٤).

(٢) يشتكي بعضُ الناس من عدم انتفاعه بقيام الليل، وإذا نظرت في طريقته في القيام، وجدتَّهُ يسهرُ إلى وقتٍ متأخِّر، =

٣ ـ وقالَ اللهُ تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

٤ ـ وقالَ اللهُ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٥ ـ وعن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**)(١)؛ وفي هذا دَلالةٌ واضحةٌ على أنَّ الأَصلَ في القيامِ بالحِزبِ مِنَ القُرآنِ هو اللَّيلُ، وفي حالةِ العُذرِ، فإنَّهُ يُعطى الثَّوابَ نَفسَهُ إذا قَضاهُ في النَّهارِ.

٦ ـ ويقولُ ابنُ حَجَرٍ ـ عن مُدارَسَةِ جِبريلَ عليه السلام لِرَسُولِ اللهِ ﷺ في كُلِّ لَيلَةٍ مِن رَمَضانَ ـ: «المَقصُودُ مِنَ التِّلَاوَةِ الحُضُورُ والفَهمُ؛ لأنَّ اللَّيلَ مَظِنَّةُ ذلكَ؛ لِمَا في

= ثم يحاول القيام آخِرَ اللَّيلِ، وهو في غاية الإجهاد والتعب، يُغالب النَّوم، فمثل هذا لا يحصل على نتائجَ جيِّدة.

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥١٥)، (٧٤٧).

النَّهَارِ مِنَ الشَّوَاغِلِ والعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ والدِّينِيَّةِ»[(١)].

٧ ـ **وقالَ الحَسَنُ بنُ عليٍّ** رضي الله عنهما: «إنَّ مَن كانَ قبلَكم رَأَوْا القُرآنَ رسائلَ من رَبِّهِم، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَها بالليلِ، ويَتَفَقَّدُونَها في النَّهارِ»[(٢)]، **والشَّاهِدُ قَوْلُهُ**: «يَتَدَبَّرُونَهَا باللَّيلِ».

٨ ـ **وقالَ ابنُ عُمَرَ** رضي الله عنهما: «أَوَّلُ مَا يَنْقُصُ مِنَ العِبَادَةِ: التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ، ورَفْعُ الصَّوتِ فِيهَا بالقِرَاءَةِ»[(٣)].

٩ ـ **وقالَ الشَّيخُ عطية سالم ـ حَاكِيًا عن شَيخِهِ الشِّنقِيطِيِّ ـ**: «وقد سَمِعْتُ الشَّيخَ يَقُولُ: لا يُثَبِّتُ القُرآنَ في الصَّدْرِ، ولا يُسَهِّلُ حِفظَهُ، ويُيَسِّرُ فَهْمَهُ إِلَّا القيامُ به في جَوفِ اللَّيلِ»[(٤)].

١٠ ـ **وقالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ**: «رَأَيتُ الفوائدَ تَرِدُ في ظَلامِ اللَّيلِ»[(٥)].

١١ ـ **وقالَ النَّوَوِيُّ**: «يَنبَغِي للمَرءِ أن يكونَ اعتناؤُهُ

---

(١) فتح الباري: (٩/ ٤٥).
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: (ص٢٩).
(٣) خلق أفعال العباد: (١/ ١١١).
(٤) أضواء البيان: (٨/ ٤٧٨).
(٥) رهبان الليل للعفاني: (١/ ٥٢٦).

بقراءةِ القُرآنِ في اللَّيلِ أكثَرَ، وفي صلاةِ اللَّيلِ أكثَرَ، والأحاديثُ والآثارُ في هذا كثيرةٌ، وإنَّما رُجِّحَتْ صلاةُ اللَّيْلِ وقراءَتُهُ لكَونِهَا أَجْمَعَ للقَلبِ، وأَبْعَدَ عنِ الشَّاغِلَاتِ والمُلْهِيَات، والتَّصرُّفِ في الحاجات، وأَصْوَنَ عَنِ الرِّيَاءِ وغَيرِهِ مِنَ المُحبِطَات، معَ ما جاءَ به الشَّرعُ من إيجادِ الخَيرَاتِ في اللَّيْلِ، فإنَّ الإسراءَ بالرَّسُولِ ﷺ كانَ لَيْلًا»[1].

١٢ ـ قالَ أبو داودَ الجفريُّ: «دَخَلْتُ على كُرزِ بنِ وَبْرَةَ في بَيتِهِ، فإذا هو يَبكِي، فَقُلتُ: ما يُبكِيكَ؟ قالَ: إنَّ بابي مُغلَقٌ، وإنَّ سِتْرِي لَمُسْبَلٌ، ومُنِعْتُ حِزْبِي أَنْ أَقْرَأَهُ البَارِحَةَ، وما هوَ إلَّا ذَنْبٌ أَحْدَثْتُهُ»[2].

✿ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: القراءةُ للقَلبِ مِثلُ السَّقْيِ للنَّبَاتِ:

إنَّ القراءةَ للقَلبِ مِثلُ السَّقْيِ للنَّبَاتِ؛ فالسَّقيُ لا يكونُ في حَرِّ الشَّمسِ، فإنَّ هذا يُضعِفُ أَثَرَهُ، خاصَّةً مع قِلَّةِ الماءِ، فإنَّهُ يَتَبَخَّرُ، وكذلكَ قراءةُ القُرآنِ إذا كانت قليلةً، وكانت في النَّهارِ وَقتَ الضَّجِيجِ والشاغِلَاتِ،

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: (ص٣٤).

(٢) حلية الأولياء: (٥/ ٧٩).

فإنَّ ما يَرِدُ على القَلبِ منَ المعاني يَتبَخَّرُ، ولا يُؤَثِّرُ فيهِ، وهذا يُجيبُ عن سؤالِ بَعضِ الناسِ؛ إذ يقولُ: إنِّي أُكثِرُ قراءةَ القُرآنِ، لكنْ لا أَتَأَثَّرُ بِهِ؟ فإذا سَألتَهُ: مَتَى تَقرَأُ القُرآنَ؟ تَبَيَّنَ أنَّ كُلَّ قراءتِهِ في النَّهارِ، وفي وقتِ الضَّجيجِ، وبشَيءٍ مِنَ المُكابَدَةِ لِحُصُولِ التَّركِيزِ؛ فكَيفَ سَيَتَأَثَّرُ؟!

إنَّ القراءةَ في اللَّيلِ يَحصُلُ مَعَهَا الصَّفاءُ والهُدُوءُ؛ حَيثُ لا أَصواتَ تَشغَلُ الأُذُنَ، ولا صُوَرَ تَشغَلُ العَينَ؛ فيَحصُلُ التَّركِيزُ التَّامُّ، وهو يُؤَدِّي إلى وُصُولِ معاني القُرآنِ إلى القَلبِ، فتَحصُلُ قُوَّةُ التَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ، وقُوَّةُ الحِفظِ والرُّسُوخِ لألفاظِ القُرآنِ ومعانِيهِ.

❋ ❋ ❋



المِفْتَاحُ السَّادِسُ

الجَهْرُ والتَّغَنِّي بالقِرَاءَةِ

❁ المَسْأَلَةُ الأُولَى: تَعرِيفُهُمَا:

الجَهرُ: هو رَفعُ الصَّوتِ بالقراءةِ.

والتَّغنِّي: هو التَّطرِيبُ والتَّلحِينُ وتَزيِينُ الصَّوتِ بالقِراءةِ، وَفْقَ ما وَرَدَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ ﭫ.

❁ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أدلَّةُ مَشرُوعيَّتِهما:

١ ـ عن أبي هُرَيرَةَ ﭬ؛ قالَ ﷺ: **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ؛ يَجْهَرُ بِهِ)**[(١)].

٢ ـ وعنه أيضًا ﭬ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: **(مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالقُرْآنِ)**[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٧٣٧)، (٧٠٨٩).

(٢) صحيح البخاري: (٦/ ٢٧٤٣)، (٧١٠٥)، صحيح مسلم: (١/ ٥٤٥)، (٧٩٢).

٣ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: **(إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)**(١).

٤ ـ **وعن أمِّ هانِئٍ** رضي الله عنها؛ **قالت**: «كُنتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبيِّ ﷺ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي»(٢).

٥ ـ وعن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه «أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ لَيلَةً فَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يُصَلِّي يَخْفِضُ صَوْتَهُ، وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **(يَا أَبَا بَكْرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي، تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ؟)**، قال: قد أَسمَعْتُ مَن ناجَيْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، وقالَ لِعُمَرَ: **(مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي، تَرْفَعُ صَوْتَكَ؟)** فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُوقِظُ الوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **(يَا أَبَا بَكْرٍ، ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ**

---

(١) صحيح البخاري: (٤/ ١٥٤٧)، (٣٩٩١)، صحيح مسلم: (٤/ ١٩٤٤)، (٢٤٩٩).

(٢) سنن النسائي: (٢/ ١٧٨)، (١٠١٣)، سنن ابن ماجه: (١/ ٤٢٩)، (١٣٤٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن النسائي.

شَيْئًا)، وقالَ لِعُمَرَ: (اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا)»[١].

٦ ـ وسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن جهرِ النَّبيِّ ﷺ بالقراءةِ باللَّيلِ، فقالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي حُجْرَتِهِ، قِرَاءَةً لَوْ أَرَادَ حَافِظٌ أَنْ يَحْفَظَهَا، فَعَلَ»[٢].

٧ ـ وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما لِرَجُلٍ ذُكِرَ لَهُ أَنَّهُ سَرِيعُ القِرَاءَةِ: «إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا، فَاقْرَأْ قِرَاءَةً تَسْمَعُهَا أُذُنُك، وَيَعِيها قَلْبُك»[٣].

٨ ـ وعنِ ابنِ أبي لَيلَى، قالَ: «إذا قَرأْتَ فَأَسْمِعْ أُذُنَيْكَ؛ فَإِنَّ القَلْبَ عَدْلٌ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالأُذُنِ»[٤].

إنَّ الجَهْرَ بما يَدُورُ في القَلبِ أعوَنُ على التَّركِيزِ والانتباهِ؛ ولِذَلِكَ تَجِدُ الإنسانَ يَلجَأُ إِلَيهِ قَسْرًا عِندَما تَتعقَّدُ الأُمورُ ويَصعُبُ التَّفكِيرُ.

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ٣٧)، (١٣٢٩)، سنن الترمذي: (٢/ ٣٠٩)، (٤٤٧)، وصححه النووي في المجموع: (٣/ ٣٩١)، والحاكم، ووافقه الذهبي، والألباني في صفة صلاة النبي ﷺ: (ص١٠٩).

(٢) مختصر قيام الليل للمروزي: (ص١٣٣).

(٣) سنن البيهقي الكبرى: (٢/ ١٦٨)، (٢٧٥٩)، فتح الباري: (٩/ ٨٩).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: (١/ ٣٢١)، (٣٦٧٠).

إنَّ البَعضَ عندَ قراءتِهِ للقُرآنِ يُسِرُّ بقراءتِهِ؛ طَلَبًا للسُّرعةِ وقراءةِ أكبرِ قَدْرٍ مُمكِنٍ، وهذا خَطأٌ، ومِنَ الوَاضِحِ غِيابُ قَصدِ التَّدبُّرِ في مِثلِ هذه الحالةِ.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: حَدُّ الجَهرِ ومِقدَارُهُ:

إنَّ الجَهرَ درجاتٌ، أدناها أن يُسمِعَ المَرءُ نَفسَهُ، وتَحرِيكُ أَدَوَاتِ النُّطقِ؛ من لِسَانٍ وشَفتَيْنِ، وأَعلَاهَا أن يُسمِعَ مَن قَرُبَ مِنهُ، فما دُونَهُ لَيسَ بجَهرٍ وما فَوقَهُ يُعِيقُ التَّدبُّرَ ويُرهِقُ القَارِئَ.

وممَّا يَضبِطُ لكَ مِقدَارَ الجَهرِ أن يكونَ كقراءةِ الإمامِ بالصَّلاةِ.

وكُلَّمَا كانَ الصَّوتُ مَشدُودًا حَيًّا، كانَ أَعْوَنَ على التَّدبُّرِ، وطَرْدِ الوَساوِسِ والأفكارِ المُتَطَفِّلَةِ على القَلبِ أثناءَ القراءةِ.

✿ المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فوائدُ الجَهرِ بقِرَاءَةِ القُرآنِ:

من فوائدِ الجَهرِ بقراءةِ القُرآنِ:

١ ـ استماعُ الملائكةِ المُوَكَّلَةِ بسَماعِ الذِّكرِ لِقرَاءَةِ القَارِئِ.

٢ ـ هَرَبُ وفِرَارُ الشَّياطِينِ عنِ القارئِ والمكانِ الَّذي يَقرَأُ فِيهِ.

٣ ـ تَطهِيرُ البَيتِ وتَعطِيرهُ وجَعلُهُ بِيئَةً صالحةً للتَّربيةِ والتَّعلِيمِ.

إنَّ بَيتًا يَكثُرُ فيه الجَهرُ بالقُرآنِ لَهُو بَيتٌ ـ **كما قالَ أبو هُرَيرَةَ** رضي الله عنه ـ: «كَثُرَ خَيرُهُ، وحَضَرَتْهُ الملائكةُ، وخرجَتْ منه الشَّياطِينُ، والبَيتُ الَّذي لا يُتْلَى فيهِ كتابُ اللهِ، ضاقَ بِأَهْلِهِ، وقَلَّ خَيرُهُ، وحَضَرَتْهُ الشَّياطِينُ، وخرجَتْ مِنهُ الملائكةُ»[١].

✪ المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: كَيفِيَّةُ التَّغنِّي:

التَّغنِّي يَحصُلُ بالتَّلحِينِ وشَدِّ الصَّوتِ بأن تَشتَغِلَ جميعُ الجوارحِ الصَّوتِيَّةِ؛ أَيْ: مخارِجُ الحُرُوفِ مِنَ الشَّفَتَيْنِ واللِّسَانِ والحَلْقِ؛ أَيِ: الحَنْجَرَةِ؛ فالمُلَاحَظُ أحيانًا أَنَّهُ يُمكِنُ القراءةُ بتَشغِيلِ بَعضِهَا دُونَ بَعضٍ؛ **وذلكَ مُستَوَيَاتٌ**:

١ ـ **القراءةُ الصَّامِتَةُ القَلبيَّةُ**؛ دُونَ تَحرِيكِ أيٍّ مِن جوارحِ الصَّوتِ.

---

(١) الزهد لابن المبارك: (ص٢٧٣)، (٧٩٠).

٢ ـ **القراءةُ الحَلقِيَّةُ**، مع صَمتِ اللِّسانِ والشَّفتَيْنِ.

٣ ـ **القراءةُ الشَّفوِيَّةُ**، بتَحرِيكِ الشَّفَتَيْنِ دُونَ الحَلقِ.

٤ ـ **القراءةُ اللِّسانِيَّةُ**، باللِّسانِ فقط.

والأفضَلُ والأكمَلُ أن تَعمَلَ جميعُ هذه الأجهزةِ معًا وفي الوَقتِ نَفسِهِ خاصَّةً الحَنْجَرَةَ؛ أي: الحَلقَ؛ فهو مُرتكَزُ التَّغنِّي والتَّطرِيبِ.

وكُلَّمَا كانَتِ القراءةُ بِتَغَنٍّ، كانت أَقوَى تَأثِيرًا، وأَقوَى تَوصِيلًا للمَعانِي إلى القَلبِ، وأكبَرُ أثرًا في خُشُوعِ القَلبِ؛ أَلَا تُلاحِظُ المُطرِبِينَ كَيفَ يَتَلَاعَبُونَ بالعَواطِفِ ويُسِيلُونَ الدُّموعَ بكلامٍ غيرِ مَفهُومٍ أو بكلامٍ فاسِدٍ، فكَيفَ إذا كانَ مِثلُ هذا التَّغنِّي بكلامِ اللهِ تعالى؟!

إنَّ حُسنَ الصَّوتِ لهُ ارتباطٌ قَوِيٌّ بخُشُوعِ القَلبِ، وبَينَهُمَا تَلازُمٌ كَبِيرٌ؛ فكُلُّ واحدٍ مِنهُمَا يُؤَثِّرُ في الآخَرِ؛ فخُشُوعُ القَلبِ يُؤَدِّي إلى قُوَّةِ التَّغنِّي، وقُوَّةُ التَّغنِّي تُؤَدِّي إلى خُشُوعِ القَلبِ؛ وهكذا يَتَعَاضَدَانِ في التَّرَقِّي والصُّعُودِ.

ومِنَ المَعلُومِ النَّهْيُ عنِ التَّشَبُّهِ بلُحُونِ أهلِ الفِسقِ والطَّرَبِ، والمُبالَغةِ في التَّلحِينِ بحَيثُ يَخرُجُ عنِ المَقصُودِ.

إنَّ التَّغنِّيَ الصَّحِيحَ هو المُرتَبِطُ بخُشُوعِ القَلبِ وفَهمِ الآياتِ، أمَّا التَّغنِّي الأَبْلَهُ أوِ السَّاذَجُ؛ أَي: المُنْفَكُّ عنِ التَّدبُّرِ والفِقهِ، والتَّأمُّلِ في الآياتِ ـ: فهو مَذمُومٌ لا خَيرَ فِيهِ.

إنَّ المتأمِّلَ لأَحكامِ التَّجوِيدِ يَجِدُ أنَّ مُعظَمَ التَّغنِّي يَدُورُ على أَمرَينِ؛ هما:

المَدُّ و**الغُنَّةُ**، ولِكُلٍّ مِنهُمَا مَواضِعُ وأحكامٌ، مَن رَكَّزَ عَلَيهِمَا، تَحَسَّنَتْ قراءتُهُ كَثِيرًا، وأَمْكَنَهُ التَّغنِّي بالقُرآنِ، وزيادةُ مُستَوَى تدبُّرِهِ للقُرآنِ(١).



(١) **شاعَ عند بعضهم مفهومٌ خاطئٌ وهو**: التعارض بين أحكام التجويد وتدبُّر القرآن، وتوضيحُه يحتاج إلى وقفةٍ خاصَّةٍ.



المِفتاحُ السَّابِعُ

التَّرتِيلُ

✿ المَسْألَةَ الأُولَى: تَعرِيفُهُ:

التَّرتِيلُ؛ **يَعني**: التَّرسُّلَ والتَّمهُّلَ، والبَعضُ يُطلِقُ التَّرتِيلَ على تَزْيينِ الصَّوتِ بالقراءةِ وتَحسِينِهَا، وهذا يُعرَفُ بالتَّغنِّي.

أمَّا التَّرتِيلُ، فالمرادُ بِهِ حَيثُ وَرَدَ في القُرآنِ: التَّمهُّلُ والتَّرسُّلُ والتَّأنِّي حالَ القراءةِ، **قالَ الدَّانِيُّ**: «التَّرتِيلُ مَصدَرٌ مِن: رَتَّلَ فُلَانٌ كَلَامَهُ: أَتْبَعَ بَعْضَهُ بَعْضًا على مُكْثٍ وتُؤْدَةٍ، والاسمُ مِنهُ: الرَّتَلُ، والعَرَبُ تَقولُ: ثَغْرٌ رَتَلٌ إذا كانَ مُتَفرِّقًا»[١]، **وقالَ الشِّيرَازِيُّ**: «هو: تَبْيينُ القراءةِ، وإتباعُ بَعضِهَا بَعضًا على تَأَنٍّ وتُؤْدَةٍ، مع تَجوِيدِ اللَّفظِ، وحُسنِ تَأدِيَتِهِ وتَقوِيمِهِ»[٢].

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد للداني: (ص٦٩).

(٢) الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشِّيرازي: (١/ ١٥٥).

❁ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أدِلَّةُ مَشْرُوعِيَّتِهِ:

١ ـ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، قالَ ابنُ كَثِيرٍ: «أي: اقْرَأْهُ على تَمَهُّلٍ؛ فإنَّهُ يكونُ عَوْنًا على فَهمِ القُرآنِ وتَدَبُّرِهِ»(١).

٢ ـ وكذلكَ كانَ يَقرَأُ صَلَوَاتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيهِ؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «كانَ يَقرَأُ السُّورَةَ، فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطوَلَ مِنْهَا»(٢).

٣ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّهُ سُئِلَ عن قراءةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «كانت مَدًّا؛ يَمُدُّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، وَيَمُدُّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ويَمُدُّ: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾»(٣).

٤ ـ وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها؛ أنَّها سُئِلَتْ عن قراءةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: «كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير: (٨/ ٢٥٠).
(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٥٠٧). (٣) فتح الباري: (٨/ ٧٠٩).
(٤) مسند أحمد: (٦/ ٣٠٢)، سنن أبي داود: (٤/ ٢٩٤)، تحفة الأحوذي: (٨/ ٢٤١).

٥ ـ وعن حُذَيفَةَ ﷺ**؛ قالَ:** «صَلَّيْتُ مع النَّبيِّ ﷺ ذاتَ لَيلَةٍ، فافْتَتَحَ (البقَرَةَ)، فقرَأَها، ثُمَّ (النِّسَاءَ)، فقرَأَها، ثُمَّ (آلَ عِمرَانَ)، فقرَأَها، يقرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»[(١)].

٦ ـ وقالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ: «يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ يَرِقُّ قَلبُكَ وإنَّمَا هِمَّتُكَ آخِرُ السُّورَةِ؟!»[(٢)].

٧ ـ وقد أنكَرَ ابنُ مَسعُودٍ ﷺ **على نُهَيْكِ بنِ سِنَانٍ سُرعَتَهُ في القراءةِ؛ حِينَ قالَ:** قَرَأتُ المُفَصَّلَ البَارِحَةَ؛ **فقالَ عبدُ اللهِ** ﷺ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ! إنَّا قَدْ سَمِعْنَا القِرَاءَةَ، وإنِّي لَأَحفَظُ القُرَنَاءَ الَّتي يَقرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ»[(٣)].

٨ ـ وقالَ ابنُ مَسعُودٍ ﷺ **لِعَلقَمَةَ ـ وقد عَجِلَ في القراءةِ ـ:** «فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي رَتِّلْ؛ فَإنَّهُ زَيْنُ القُرآنِ»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٦)، (٧٧٢)، سنن النسائي (المجتبى): (٣/ ٢٢٥)، (١٦٦٤).

(٢) مختصر قيام الليل للمروزي: (ص١٥٠).

(٣) صحيح البخاري: (١/ ٢٦٩)، (٧٤٢)، (٤/ ١٩٢٤)، (٤٧٥٦)، صحيح مسلم: (١/ ٥٦٤)، (٨٢٢).

(٤) سنن البيهقي الكبرى: (٢/ ٥٤)، (٢٢٥٩)، سنن سعيد بن منصور: (٢)، (١/ ٢٢٥)، (٥٤)، مصنَّف ابن أبي شيبة: (٢/ ٢٥٥)، (٨٧٢٤)، (٦/ ١٤٠)، (٣٠١٥٢).

وصِفَةُ قراءةِ القُرآنِ الَّتي نُقِلَتْ إلَينا عَنِ النَّبيِّ ﷺ وصَحابَتِهِ ﷺ تَدُلُّ على أهميَّةِ التَّرسُّلِ؛ فمَن يَنظُرْ إلى أيِّ كِتَابٍ في التَّجوِيدِ، يُدرِكْ هذه الحقيقةَ بجَلَاءٍ ووُضُوحٍ، وإنَّهُ لَفَرْقٌ كَبيرٌ في التَّمهُّلِ والتَّأنِّي بَينَ مَن يُطَبِّقُ أحكامَ التَّجويدِ ومَن لا يُطَبِّقُهَا، بل يَهُذُّ القراءةَ هَذًّا.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مِقيَاسُ التَّرتِيلِ:

١ ـ **سُئِلَ زَيدُ بنُ ثَابِتٍ** رضي الله عنه: «كَيفَ تَرَى في قراءةِ القُرآنِ في سَبعٍ؟ قالَ: حَسَنٌ، ولَأَنْ أقرَأَهُ في نِصفِ شَهرٍ أو عِشرِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وسَلْنِي لِمَ ذَلِكَ؟ قال: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ، قالَ: لِكَيْ أَتَدَبَّرَهُ وأَقِفَ عَلَيهِ»[1].

٢ ـ **قالَ ابنُ حَجَرٍ**: «إنَّ مَنْ رَتَّلَ وتَأَمَّلَ كمَن تَصَدَّقَ بجَوهَرَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمِينَةٍ، وَمَنْ أَسْرَعَ كَمَنْ تَصَدَّقَ بِعِدَّةِ جَوَاهِرَ، لَكِنَّ قِيمَتَهَا قِيمَةُ الواحدةِ، وقد تكونُ قِيمَةُ الواحدةِ أَكثَرَ مِن قِيمَةِ الأُخرَيَاتِ، وقد يكونُ العَكسُ»[2].

والصَّحيحُ: أنَّ مَن أسرَعَ فقدِ اقْتَصَرَ على مَقصدٍ

---

(١) الموطأ: (١/ ٢٠١).

(٢) فتح الباري: (٣/ ٨٩)، وذكر نحوه السيوطي في الإتقان.

واحِدٍ من مقاصِدِ قراءةِ القُرآنِ؛ **وهو**: ثَوابُ القراءةِ، ومَن رَتَّلَ وتأمَّلَ، فقد حَقَّقَ المقاصِدَ كُلَّهَا وكَمَلَ انتفاعُهُ بالقُرآنِ، واتَّبَعَ هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ وصحابتِهِ الكرام ﷺ.

٣ ـ **قالَ ابنُ مُفلِح**: «**أَقَلُّ التَّرتِيلِ**: تَركُ العَجَلَةِ في القُرآنِ عنِ الإبانةِ، **وأكمَلُهُ**: أن يُرَتِّلَ القراءةَ ويَتَوَقَّفَ فِيهَا»(١).

ممَّا سَبَقَ يُمكِنُنَا وَضعُ مِقياسٍ وضابطٍ لِمفتَاحِ التَّرتِيلِ؛ وهو:

إمكانُ التَّفكُّرِ والتَّأمُّلِ حينَ القراءةِ، وهذا يَتَطَلَّبُ الأناةَ والتَّمهُّلَ، بل أحيانًا التَّوقُّفَ.

وهل يُمكِنُ ضَبطُ ذلك بالوقتِ؟ أيْ: في كَم دقيقةٍ تَقرَأُ الوَجهَ لتكُونَ الْتَزَمْتَ بِمفتَاحِ التَّرتِيلِ؟

فالجوابُ: أنَّ هذا يَتفاوَتُ كثيرًا من قارئٍ إلى آخَرَ ومِن حالةٍ إلى أُخرَى، وإنْ كانَ ولا بُدَّ من تَحدِيدٍ تَقرِيبِيٍّ لذلكَ، فإنَّهُ يكونُ من دَقِيقَتَيْنِ إلى خَمسِ دقائقَ للوَجهِ.

فإذا أَخَذْنَا بالحَدِّ الأَدنَى فإنَّ قراءةَ القُرآنِ كَامِلًا خارجَ الصَّلاةِ تحتاجُ إلى: (١٢٠٠) دقيقةٍ، وتُساوِي

---

(١) الآداب الشرعية: (٢/ ٢٩٧).

عِشرِينَ سَاعَةً، فمَن أرادَ أن يَختِمَ القُرآنَ في شَهرٍ فعلَيهِ أن يُخَصِّصَ لقراءةِ القُرآنِ أربعِينَ دقيقةً كُلَّ يومٍ، ومَن أرادَ أن يَختِمَهُ في أُسبوعَينِ فيَحتاجُ إلى ثمانِينَ دقيقةً، وفي أُسبوعٍ يحتاجُ إلى (١٦٠) دقيقةً وتُسَاوِي: ساعتَينِ وأربعِينَ دقيقةً كُلَّ يومٍ.

* * *



المفتاح الثامن
التكرار والتوقف

✿ **المَسْأَلَةُ الأُولَى: بيانُ المرادِ بِهِمَا:**

أي: التَّوقُّفُ حالَ القراءةِ أو تَكرارُ الآيةِ؛ لاستحضارِ المعاني والتعمُّقِ في فَهمِهَا.

وكُلَّمَا طالَ التَّوقُّفُ وكَثُرَ التَّكرارُ، زَادَتِ المعاني الَّتي تُفهَمُ مِنَ النَّصِّ، بشَرطِ عدمِ شُرُودِ الذِّهنِ.

والتَّكرارُ ـ أيضًا ـ قد يَحصُلُ لا إِرَادِيًّا تَعظِيمًا أو إعجَابًا بما قَرَأَ، وهذا مشاهَدٌ في واقعِ النَّاسِ حِينَما يُعجَبُ أحدُهُم بجُملَةٍ أو قِصَّةٍ؛ فإنَّهُ يُكثِرُ مِن تكرارِهَا على نَفسِهِ أو غَيرِهِ.

التَّكرارُ: نتيجةٌ وثَمَرَةٌ للفَهمِ والتَّدبُّرِ، وهو أيضًا وسيلةٌ إلَيهِ حِينَما لا يُوجَدُ.

✿ **المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: بيانُ أَهَمِّيَّتِهِمَا:**

١ ـ **قالَ ابنُ مَسعُودٍ** رضي الله عنه: «لا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، قِفُوا عِنْدَ عجائِبِهِ، وحَرِّكُوا بِهِ

القُلُوبَ، ولا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُم آخِرَ السُّورَةِ»[١].

٢ ـ قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «هذه عادةُ السَّلَفِ؛ يُرَدِّدُ أحدُهُمُ الآيةَ إلى الصُّبحِ»[٢].

٣ ـ قالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وقد باتَ جماعةٌ مِنَ السَّلَفِ يَتلُو الواحدُ مِنهُمُ الآيةَ الواحدةَ لَيلَةً كاملةً أو مُعظَمَهَا؛ يَتَدَبَّرُهَا عندَ القراءةِ»[٣].

٤ ـ وقالَ ابنُ قُدامَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «ولْيَعْلَمْ أنَّ ما يَقْرَؤُهُ لَيسَ كَلامَ بَشَرٍ، وأن يَستَحضِرَ عَظَمَةَ المُتكلِّمِ سُبحانَهُ، ويَتَدَبَّرَ كلامَهُ؛ فإنَّ التَّدبُّرَ هو المقصودُ مِنَ القراءةِ، وإن لم يَحصُلِ التَّدبُّرُ إلَّا بترديدِ الآيةِ فَلْيُرَدِّدْهَا»[٤].

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: نماذِجُ عمليَّةٌ:

١ ـ عن حذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ **قالَ**: «صَلَّيْتُ مع النَّبيِّ ﷺ ذاتَ لَيلَةٍ، فافْتَتَحَ (البَقَرَةَ)، فقُلتُ: يَركَعُ عِندَ المِئَةِ، ثُمَّ

---

(١) تفسير البغوي: (٤/٤٠٧)، شعب الإيمان للبيهقي: (١/٣٤٤)، أخلاق حملة القرآن: (ص١٩).

(٢) مفتاح دار السعادة: (١/٢٢٢).

(٣) الأذكار: (ص٥٠).

(٤) مختصر منهاج القاصدين: (ص٦٨).

مَضى، فقُلتُ: يُصلِّي بِهَا في رَكعَةٍ[(١)]، فمَضى، فقُلتُ: يَركَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ (النِّسَاءَ)، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ (آلَ عِمرَانَ)، فَقَرَأَهَا؛ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إذا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تعَوَّذَ»[(٢)].

٢ ـ **قالَ أبو ذرٍّ** رضي الله عنه: «قَامَ النَّبيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يُرَدِّدُهَا: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»[(٣)].

٣ ـ **وعن عبَّادِ بنِ حَمزَةَ؛ قالَ**: «دَخَلْتُ على أسماءَ رضي الله عنها وهي تَقرَأُ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قالَ: فَوَقَفْتُ عليها، فَجَعَلَتْ تَستَعِيذُ وَتَدْعُو، قالَ عَبَّادٌ: فذَهَبْتُ إلى السُّوقِ،

---

(١) قوله: «يُصلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ»: **أراد بالركعة**: الصلاة كاملة؛ **والمعنى**: يصلِّي بها في تسليمة.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٦)، (٧٧٢)، سنن النسائي (المجتبى): (٣/ ٢٢٥)، (١٦٦٤).

(٣) سنن ابن ماجه: (١/ ٤٢٩)، (١٣٨٩)، قال ـ في مصباح الزجاجة ـ: «إسناده صحيح»، سنن النسائي (المجتبى): (١/ ١٧٧)، مستدرك الحاكم: (١/ ٢٤١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن النسائي، وحسَّنه الأرناؤوط في تحقيق مختصر منهاج القاصدين.

فَقَضَيْتُ حَاجَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ وَهِيَ فِيهَا بَعدُ؛ تَسْتَعِيذُ وَتَدْعُو»(١).

٤ ـ وعنِ القاسِمِ بنِ أبي أَيُّوبَ، أنَّ سعيدَ بنَ جُبَيرٍ: «رَدَّدَ هذه الآيةَ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] بِضْعًا وعِشرِينَ مَرَّةً»(٢).

٥ ـ وقالَ محمَّدُ بنُ كَعبِ القُرَظِيُّ: «لَأَنْ أَقْرَأَ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ و: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾، أُرَدِّدُهما وأتفكَّرُ فِيهِمَا ـ: أَحَبُّ مِن أَنْ أَبِيتَ أَهُذُّ القُرْآنَ»(٣).

٦ ـ وردَّدَ الحَسَنُ البصريُّ لَيلَةً: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨] حَتَّى أَصبحَ، فقِيلَ له في ذلك، فقالَ: «إنَّ فِيهَا مُعْتَبَرًا؛ ما نَرفَعُ طَرْفًا ولا نَرُدُّهُ إلَّا وَقَعَ على نِعمَةٍ، وما لا نَعلَمُهُ مِن نِعَمِ اللهِ أَكْثَرُ»(٤).

٧ ـ وقامَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رضي الله عنه بآيةٍ حَتَّى أَصبَحَ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (٢/ ٢٥)، (٦٠٣٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: (٧/ ٢٠٣).
(٣) الزهد لابن المبارك: (ص٩٧).
(٤) مختصر قيام الليل للمروزي: (ص١٥١).

ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١][1].

٨ ـ **قالَ أبو سُلَيمانَ الدَّارَانِيُّ**: «رُبَّمَا أَقُومُ خَمْسَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ بآيةٍ واحدةٍ؛ أُرَدِّدُهَا وأُطَالِبُ نَفسِي بالعَمَلِ بما فِيهَا، ولَولَا أنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَيَّ بالغَفلَةِ، لَمَا تَعَدَّيْتُ تِلكَ الآيةَ طُولَ عُمُرِي؛ لأنَّ لي في كُلِّ تَدَبُّرٍ عِلمًا جَدِيدًا، والقُرآنُ لا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»[2].

٩ ـ «وقامَ أبو حَنِيفَةَ لَيلَةً كَامِلَةً بهذه الآيةِ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، يُرَدِّدُهَا ويَبكِي ويَتَضَرَّعُ»[3].

١٠ ـ **وقالَ زَيدُ بنُ الكُمَيتِ**: «كانَ أبو حَنِيفَةَ شَدِيدَ الخَوفِ مِنَ اللهِ، فَقَرَأَ بِنَا عليُّ بنُ الحُسَينِ المُؤَذِّنُ لَيلَةً في عشاءِ الآخِرَةِ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾، وأبو حَنِيفَةَ خَلْفَهُ؛ فَظَلَّ قائمًا إلى الصَّبَاحِ، وهو يَقُولُ: يَا مَنْ يَجْزِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا خَيْرًا، وَيَا مَن يَجْزِي مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا شَرًّا، أَجِرِ النُّعْمَانَ عَبْدَكَ مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنهَا مِنَ السُّوءِ، وَأَدْخِلْهُ فِي سَعَةِ رَحْمَتِكَ[4]».

---

(١) مختصر منهاج القاصدين: (ص٦٨).
(٢) تنبيه المغترين، عبد الوهاب الشعراني: (ص١٢٠).
(٣) رهبان الليل: (١/ ٣٩٦).
(٤) تاريخ بغداد: (٣/ ١٥٣)، رهبان الليل: (١/ ٣٩٦).



المِفتَاحُ التَّاسِعُ

التَّحزِيبُ

✿ المَسْأَلَةُ الأولى: أهمِّيَّةُ تَحزِيبِ القُرآنِ:

القُرآنُ أُنزِلَ لِيُعمَلَ بِهِ، ووَسِيلَةُ العَمَلِ بهِ العِلمُ بِهِ، وهو يَحصُلُ بقراءتِهِ وتدبُّرِهِ.

وكُلَّما تقارَبَتْ أوقاتُ القراءةِ، وكُلَّمَا كَثُرَ التَّكرارُ، كانَ ذلك أَقوَى في رُسُوخِ معاني القُرآنِ الكريمِ.

من أَجْلِ ذلكَ كانَ السَّلَفُ يُوَاظِبُونَ على قراءةِ القُرآنِ، ويَحرِصُونَ على كثرةِ تلاوتِهِ وتكرارِهَا.

ومَن ظَنَّ أنَّهُم يَقرَؤُونَهُ من أَجْلِ ثوابِ القراءةِ فَحَسْبُ، فقد قَصُرَ فَهمُهُ في هذا البابِ.

قراءةُ القُرآنِ مِثلُ العلاجِ؛ لا بُدَّ أن يكونَ بمِقدَارٍ مُعَيَّنٍ، لا يَزِيدُ عليهِ ولا يَنقُصُ حَتَّى يَحدُثَ أَثَرُهُ، مِثلُ المضادِّ الحيويِّ؛ إن طَالَتِ المُدَّةُ ضَعُفَ أثرُهُ، وإنْ تَقَارَبَ أكثَرَ من المناسِبِ، أَضَرَّ بالبَدَنِ، فكذلكَ قراءةُ القُرآنِ

المُدَّةَ الَّتي أَقرَّهَا النَّبيُّ ﷺ لأُمَّتِهِ، لِمَنْ رَغِبَ في الخيرِ هي سَبْعَةُ أيَّامٍ إلى شَهرٍ، ونَهَى عن أَقلَّ من ثلاثٍ.

وقد وَرَدَتْ نصوصٌ كثيرةٌ عنِ السَّلَفِ في هذه القضيَّةِ المُهِمَّةِ؛ تُؤكِّدُ على ضرورةِ تَحزِيبِ القُرآنِ، والمحافظةِ على ما يَتِمُّ تَحزِيبُهُ، وأن يكونَ له الأَولَوِيَّةُ الأُولَى في كُلِّ وَقتٍ.

يَنبَغِي أن يُوجَدَ الحِرصُ التَّامُّ علَيهِ، وأن يُقَدَّمَ على كُلِّ عَمَلٍ، وأَلَّا يَهْدَأَ لكَ بالٌ حتَّى تَقُومَ به، حتَّى تُؤَدِّيَهُ في وَقتِهِ، أو تَقْضِيَهُ إن فاتَ أَدَاؤُهُ في وَقتِهِ.

إنَّ تَرْكَ قضاءِ العَمَلِ الفائتِ يَعنِي تَساوِيَ الفِعلِ والتَّركِ عِندَكَ، وهذا دليلٌ على عدمِ أهمِّيَّتِهِ لَدَيكَ.

مَتَى وُجِدَ هذا الحِرصُ، فهو مِفتاحُ النَّجاحِ في الحياةِ.

إنَّهُ مِفتاحٌ لا نحتاجُ إلى إثباتِهِ بالقِصَصِ والتَّجارِبِ؛ فهو ثابِتٌ بالخَبَرِ عنِ اللهِ تعالى، وعن رسولِهِ ﷺ؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وهل يُعقَلُ أو يُتَصَوَّرُ أن يُوجَدَ اتِّباعٌ دُونَ قراءةٍ مُستَمِرَّةٍ، ودُونَ مُذَاكَرَةٍ لقَواعِدِهِ وتَوجِيهَاتِهِ؟!

إنَّنَا في واقعِ الحياةِ نَجِدُ أنَّ الإداريَّ الَّذي لا يَحفَظُ اللَّائِحَةَ ولا يَفهَمُ ما فِيهَا هو إداريٌّ فاشِلٌ، والطَّالِبَ الَّذي لا يُذَاكِرُ دُرُوسَهُ كذلِكَ.

ومَتَى عَلِمَ اللهُ مِنكَ صِدقَ الرَّغبةِ والحِرصَ على هذا الغِذاءِ، فإنَّهُ يَفتَحُ لَكَ أبوابَهُ، ويُبارِكُ لك فيهِ، ويَمتَدُّ أَثَرُهُ لِيَشمَلَ جميعَ جوانِبِ حياتِكَ.

لا أقولُ: إنَّ التَّجرِبَةَ تَشهَدُ لِذَلِكَ؛ فثَباتُ نتائجِ هذا العَمَلِ أَقوَى وأَصدَقُ من أن تَخضَعَ للتَّجرِبَةِ.

وما يُوجَدُ في حياتِنَا من نَقصٍ إنَّما هو بسَبَبِ تَركِ وإهمالِ هذا العملِ اليَسِيرِ على من يَسَّرَهُ اللهُ عليهِ، العَظِيمِ في نَفعِهِ وأَثَرِهِ الشَّامِلِ في تحقيقِ النَّجاحِ الكاملِ لكُلِّ مَن أَخَذَ بِهِ بدِقَّةٍ.

وهوَ مجَّانيٌّ لا يحتاجُ إلى دَوراتٍ ولا رُسومٍ ولا مُدَرِّبٍ.

إنَّ عاداتِ النَّجاحِ لَيسَتْ سَبْعًا ولا عَشْرًا؛ بل هي عادةٌ واحدةٌ؛ إنَّها المحافظةُ على قراءةِ حِزْبِكَ مِنَ القُرآنِ، بل هي عبادةٌ، ولَيسَتْ عادَةً، مَن يَسَّرَ اللهُ له المحافظةَ عَلَيهَا، حَصَلَتْ لهُ كُلُّ معاني النَّجاحِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ.

إنَّ أوَّلَ خُطوةٍ وأوَّلَ مَرحَلَةٍ في طلبِ العِلمِ هي: القيامُ بالقُرآنِ حِفظًا كُلَّ سَبعَةِ أيَّام، وأيُّ استعجالٍ في هذا الأَمرِ إنَّما هو إتيانٌ للبُيُوتِ من ظُهُورِهَا، واستعجالٌ في حَصدِ النَّتائِجِ قبلَ نُضجِهَا، وقد يُؤَدِّي إلى نقائصَ كثيرةٍ وتَأخُّرٍ في الوُصُولِ، وفي بُلُوغِ الهَدَفِ.

يُوجَدُ عددٌ من طُلَّابِ العِلمِ من هذا النَّوعِ تَجِدُهُ يَصرِفُ الأوقاتَ الطَّويلةَ لِتَعَلُّم فُروعِ العِلم، بَينَمَا القيامُ بالقُرآنِ وتَدَبُّرُهُ لا يَصرِفُ لهُ إلَّا القليلَ، وهذا مخالِفٌ لِمَا كانَ عليهِ السَّلَفُ، وأخبارُهُم في هذا مشهورةٌ؛ فقد عَجِبَ الإمامُ أحمَدُ من طالِبِ حديثٍ لا يكونُ لهُ وِردٌ في اللَّيلِ.

المَسْأَلَة الثَّانِيَة: أدلَّةُ التَّحزِيبِ عامَّةً:

١ ـ عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه؛ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»[1].

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥١٥)، (٧٤٧)، صحيح ابن حبان: (٦/ ٣٦٩)، (٢٦٤٣)، صحيح ابن خزيمة: (٢/ ١٩٥)، (١١٧١)، سنن النسائي الكبرى: (١/ ٤٥٨)، (١٤٦٤)، سنن =

٢ ـ وقالَ عُقبَةُ بنُ عَامِرٍ الجُهَنِيُّ رضي الله عنه: «مَا تَرَكْتُ حِزْبَ سُورَةٍ مِنَ القُرآنِ مِن لَيْلَتِهَا، مُنْذُ قَرَأْتُ القُرآنَ»(١).

٣ ـ وعنِ المُغيرَةِ بن شُعبَةَ رضي الله عنه؛ قالَ: «اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَهُوَ بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةِ، فَقَالَ: (قَدْ فَاتَنِي اللَّيْلَةَ حِزْبِي مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي لَا أُوثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا)»(٢).

٤ ـ وعن خَيْثَمَةَ؛ قالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَيهِ ـ يَعنِي: عَبدَ اللهِ بنَ عَمْرو رضي الله عنهما ـ وهو يَقرَأُ في المُصحَفِ، فقالَ: هذا حِزْبِي الَّذي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهِ اللَّيْلَةَ»(٣).

٥ ـ وعنِ القاسِمِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أبي بَكرٍ؛ قالَ: «كُنَّا نَأتِي عائشةَ رضي الله عنها قَبلَ صلاةِ الفَجرِ، فَأَتَيْنَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ(٤)، فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي، فَقالَتْ: نِمْتُ عَنْ حِزْبِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَدَعَهُ»(٥).

= أبي داود: (٢/ ٣٤)، (١٣١٣)، سنن ابن ماجه: (١/ ٤٢٦)، (١٣٤٣)، سنن الترمذي: (٢/ ٤٧٤)، (٥٨١).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد: (ص٩٥).

(٢) كنز العمَّال: (٢/ ١٤١)، (٤١٣٧).

(٣) مصنَّف ابن أبي شيبة: (٢/ ٢٤٠)، (٨٥٥٩).

(٤) يُفهم من السياق أن مجيئهم هذه المرَّة بعد طلوع الشمس، أو أنَّ الصواب في العبارة: «بعدَ صلاةِ الفجرِ».

(٥) مصنَّف ابن أبي شيبة: (١/ ٤١٦)، (٤٧٨٤).

٦ ـ وعن أبي بَكرِ بنِ عَمرِو بنِ حَزم: «أنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه بالهاجرةِ، فحَجَبَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فقالَ: إنِّي كُنْتُ نِمْتُ عَنْ حِزْبِي؛ فَكُنْتُ أَقْضِيهِ»(١).

٧ ـ وعنِ ابنِ الهادِ؛ قالَ: «سَألَنِي نافعُ بنُ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ، فقالَ لي: في كَمْ تَقْرَأُ القُرآنَ؟ فَقُلتُ: مَا أُحَزِّبُهُ، فقالَ لِي نَافِعٌ: لَا تَقُلْ: مَا أُحَزِّبُهُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: (قَرَأْتُ جُزْءًا مِنَ القُرْآنِ)»(٢).

٨ ـ «كانَ عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ يَقرَأُ رُبُعَ القُرآنِ كُلَّ يوم فِي المُصحَفِ ويَقُومُ به لَيلَهُ»(٣).

٩ ـ عن عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ حَنبَلٍ؛ قالَ: «كانَ أَبِي يَقرَأُ في كُلِّ يوم سُبُعًا؛ يَختِمُ فِي كُلِّ سَبعَةِ أيَّامٍ، وكانت له خَتمَةٌ في كُلِّ سَبعِ لَيَالٍ سِوَى صلاةِ النَّهارِ، وكانَ ساعةَ يُصَلِّي عشاءَ الآخرةِ يَنَامُ نَومَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ إلى الصَّباحِ يُصَلِّي ويَدعُو»(٤).

١٠ ـ وقال الشَّيخُ عطيَّة سالم عن شَيخِهِ الشِّنقيطِيِّ:

---

(١) مصنَّف ابن أبي شيبة: (١/ ٤١٦).
(٢) سنن أبي داود: (٢/ ٥٥)، (١٣٩٢).
(٣) حلية الأولياء: (١/ ١٧٨)، رهبان الليل: (١/ ٣٦٤).
(٤) حلية الأولياء: (٩/ ١٨١).

«وقد كانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ لَا يَترُكُ وِرْدَهُ مِنَ اللَّيلِ صَيْفًا أو شِتَاءً»[(١)].

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أدلَّةُ التَّحزِيبِ الأُسبوعِيِّ:

١ ـ عن أَوسِ بنِ حُذَيفَةَ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه؛ قالَ: «قَدِمْنَا على رسولِ اللهِ ﷺ في وَفدِ ثَقِيفٍ، فنَزَّلُوا الأَحلَافَ على المغيرةِ بنِ شُعبَةَ رضي الله عنه، وأَنْزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ بَنِي مَالِكٍ في قُبَّةٍ له، فكانَ يَأتِينا كُلَّ لَيلَةٍ بعدَ العِشَاءِ، فيُحَدِّثُنَا قَائِمًا على رِجلَيهِ، حتَّى يراوِحَ بَينَ رِجلَيهِ وأَكثَرُ ما يُحَدِّثُنَا ما لَقِيَ مِن قَومِهِ مِن قُرَيشٍ، ويَقُولُ: **(وَلَا سَوَاءٌ؛ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى المَدِينَةِ، كَانَتْ سِجَالُ الحَرْبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ نُدَالُ عَلَيْهِمْ ويُدَالُونَ عَلَيْنَا)**، فَلَمَّا كانَ ذَاتَ لَيلَةٍ، أَبطَأَ عَنِ الوَقتِ الَّذي كانَ يَأْتِينا فِيهِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: **(فَإِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ القُرْآنِ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ)**.

قَالَ أَوْسُ بنُ حُذَيفَةَ: سَأَلْتُ أَصحابَ رسولِ اللهِ: كَيفَ يُحَزِّبُونَ القُرآنَ؟ قالُوا: ثَلَاثٌ، وخَمسٌ، وسَبْعٌ،

---

(١) تتمَّة أضواء البيان: (٨/ ٤٧٨).

وتِسْعٌ، وإِحدَى عَشْرَةَ، وثَلاثَ عَشْرَةَ، وحِزْبُ المُفَصَّلِ»[(١)].

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «إِنِّي لَأَقْرَأُ جُزْئِي (أو قَالَتْ: سُبُعِي) وأنا جالِسَةٌ عَلَى فِرَاشِي، أو: عَلَى سَرِيرِي»[(٢)].

٣ - وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «لَا يُقْرَأُ القُرْآنُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ، اقْرَؤُوهُ في سَبعٍ، ويُحَافِظُ الرَّجُلُ على حِزْبِهِ»[(٣)].

٤ - وقالَ النَّوَوِيُّ - عنِ الخَتمِ في سَبعٍ -: «فِعلُ الأَكْثَرِينَ مِنَ السَّلَفِ»[(٤)]، وكانَ الإمَامُ أحمَدُ يَختِمُهُ كُلَّ سَبْعٍ، وقالَ السُّيُوطِيُّ: «وهَذَا أَوسَطُ الأُمورِ، وأَحسَنُها، وهو فِعلُ الأَكثَرِ مِنَ الصَّحابةِ وغَيرِهِم»[(٥)].

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ٥٥)، (١٣٩٣)، سنن ابن ماجه: (١/ ٤٢٧)، (١٣٤٥)، مسند أحمد بن حنبل: (٤/ ٩)، (١٦٢١١)، مصنَّف ابن أبي شيبة: (٢/ ٢٤٢)، (٨٥٨٣)، المعجم الكبير: (١/ ٢٢٠)، (٥٩٩).

(٢) فضائل القرآن لأبي عُبيد (ص١٨٦).

(٣) قال في مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٩): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح».

(٤) التبيان: (ص٥٩).

(٥) الإتقان: (١/ ١٢٤).

❁ المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: لماذا التَّحزِيبُ كُلَّ أُسبُوعٍ؟:

التَّحزِيبُ كُلَّ أُسبوعٍ مِن أَجْلِ تقارُبِ وَقتِ القراءةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ قُوَّةُ حِفظِ اللَّفظِ وحِفظِ المَعنَى، ونتيجةً لذلكَ يَتَحَقَّقُ حِفظُ العَمَلِ والتَّطبيقِ، فمِنَ المَعلُومِ أنَّهُ كُلَّمَا تَقارَبَتْ أوقاتُ القراءةِ، قَوِيَ الحِفظُ، وقد وُجِدَ بالتَّجرِبَةِ أنَّ ما يُكَرَّرُ كُلَّ سَبْعَةِ أيَّامٍ، فإنَّهُ يَرسَخُ ويَثْبُتُ، وكُلَّمَا زادَتِ الأيَّامُ، ضَعُفَ الحِفظُ، فهيَ عَلاقةٌ طَردِيَّةٌ.

لماذا كانَ كثيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَختِمُونَ القُرآنَ كُلَّ سَبعَةِ أيَّامٍ، أو كُلَّ ثَلاثَةِ أيَّامٍ؟

* لأنَّهُم يَعلَمُونَ أنَّ أكثَرَ مِن هذه المُدَّةِ يُؤَدِّي إلى نِسيانِ معاني القُرآنِ، ومِن ثَمَّ نَقصِ قُوَّةِ الإيمانِ واليَقِينِ، وذَهابِ الأُنسِ باللهِ تعالى، يُحِسُّونَ بالوَحشَةِ والغُربَةِ إنْ زادَتْ مُدَّةُ الخَتمِ عن هذه الأيَّامِ المعدوداتِ.

إنَّ حِفظَ المعاني يَختَلِفُ عن حِفظِ الألفاظِ، فحِفظُ الألفاظِ قد يَكفِيهِ شَهرٌ أو أسبوعانِ، لكنَّ حِفظَ المعاني لا بُدَّ له مِنَ التَّقارُبِ الشَّدِيدِ ليَحصُلَ الضَّبطُ والتَّماسُكُ والعُمقُ.

إنَّهُ لا مانِعَ من كَونِ التَّحزِيبِ كُلَّ عَشرَةِ أيَّامٍ، أو

خَمسَةَ عَشَرَ، أو عِشرِينَ، لكِنْ عَلَيكَ التَّنَبُّهُ لهذهِ القاعدةِ، الَّتي اهتَدَى إلَيهَا السَّلَفُ من قَبلِنَا، وطَبَّقُوهَا في تعامُلِهِم معَ القُرآنِ الكريمِ؛ فانْتَفَعُوا بها غايةَ الانتفاعِ.

المَسْأَلَةُ الخَامِسَةُ: أن يكونَ التَّحزِيبُ بالسُّوَرِ:

الأَولَى أن يكونَ تَحزِيبُ القُرآنِ وتَقسِيمُهُ على السُّوَرِ ـ قَدْرَ الإمكانِ ـ بمَعنَى أن تَقرَأَ السُّورَةَ في اللَّيلَةِ الواحدةِ كاملةً، وأن يكونَ التَّقسِيمُ والتَّوزِيعُ مُتَوافِقًا مع نهاياتِ السُّوَرِ، وهذا هو السُّنَّةُ، وعَلَيهِ عَمَلُ الصَّحابةِ والتَّابِعِينَ، أمَّا الأحزابُ والأجزاءُ والأَثمانُ المعروفةُ اليَومَ، فلم تَأتِ إلا مُتَأَخِّرَةً، علاوةً على ما فيها من بَترِ المعاني وتَقطِيعِ السُّوَرِ، ومَن أرادَ تَفصِيلَ القَولِ في هذه المسألةِ فلْيُرَاجِعْ ما كَتَبَهُ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ في «مجموعِ الفتاوى»؛ في الجُزءِ الثَّالِثَ عَشَرَ[(١)].

المَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: كَيفِيَّةُ تَطبِيقِ هذا المِفتَاحِ:

القيامُ بالقُرآنِ كامِلًا في كُلِّ أُسبوعٍ حِفظًا، وفي لَيلٍ، وبجَهرٍ، وتَرتِيلٍ، وتَوقُّفٍ:ـ يحتاجُ الوصولُ إليهِ إلى

(١) انظر كتاب: «الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان: (ص٣٩)».

التَّدرُّج، والتَّدرِيبِ شَيئًا فشَيئًا، **ومن ذلك تطبيقُ قاعدةِ:** (أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ).

فمِنَ الممكنِ أن تكونَ البدايةُ بالمُفَصَّلِ[1]؛ يُحَزِّبُهُ سَبعَةَ أَحزَابٍ لِكُلِّ يومٍ من أيَّامِ الأُسبوعِ حِزبٌ.

أو مِنَ المُمكِنِ أن تكونَ البدايةُ بجُزءِ (عَمَّ)؛ يَقسِمُهُ سَبعَةَ أَقسَامٍ، وكُلَّ لَيلَةٍ يَقرَأُ بِقِسْمٍ.

يُكَرِّرُ هذا كُلَّ أُسبوعٍ، ثُمَّ يَنظُرُ النَّتِيجَةَ كَيفَ تَكُونُ؟

وعندَما يرى الأثرَ والفائدةَ، فإنَّ هذا سَيدفَعُهُ إلى الزِّيادةِ، ولْتَكُنْ بالتَّدرِيجِ، فيَزِيدُ المقدارَ وبنَفْسِ الطريقةِ يَتِمُّ تَوزِيعُ المقدارِ الجديدِ إلى سَبعَةِ أَقسَامٍ؛ كُلُّ قِسمٍ مِنهَا يُقرَأُ في لَيلَةٍ، بحَيثُ يَختِمُ المقدارَ كُلَّ أُسبوعٍ حتَّى يَرسَخَ، حتَّى تَثبُتَ الآياتُ في القَلبِ بصُورَةٍ قويَّةٍ، يَسهُلُ استِدعَاؤُها في مواقفِ الحياةِ اليَومِيَّةِ.

✿ المَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: كَمْ مِنَ الوَقتِ تُعطِي للقُرآنِ كُلَّ يَومٍ؟:

يجبُ أن تَسأَلَ نَفسَكَ يَومِيًّا هذا السُّؤالَ، وتُقارِنَ ما تُخَصِّصُهُ مِنَ الوَقتِ للقُرآنِ بِأُمُورِ حياتِكَ الأُخرَى، وتَنظُرَ:

---

(١) المُفصَّل من (سورة ق) إلى (سورة الناس)، وسمِّيَ بذلك لكثرة الفَصْلِ بين سُوره.

هل هي قِسمَةٌ عادلةٌ، وهل أعطَيْتَ القُرآنَ ما يَستَحِقُّهُ منَ الوَقتِ؟ إنَّ التَّفكِيرَ اليَومِيَّ في هذهِ المسألةِ يَكشِفُ لكَ عن حقائقَ مُهِمَّةٍ، ويُبيِّنُ لَكَ اتِّجاهَكَ في الحياةِ.

إنَّ الإجابةَ الصَّحيحةَ والمَنهَجِيَّةَ عن هذا السُّؤالِ جاءَتْ في ثَانِي سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ القُرآنِ الكريمِ؛ وهي (سورةُ المُزَّمِّلِ)؛ إذ يقولُ اللهُ تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢] **أي**: كثيرًا منَ اللَّيلِ، وما حَدُّ هذا الكثيرِ؟ ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ [المزمل: ٣ ـ ٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠]، **واللَّيلُ في المتوسِّطِ**: اثْنَتا عَشْرَةَ ساعَةً؛ **فنِصفُهُ**: سِتُّ سَاعَاتٍ، **وثُلُثُه**: أَربَعُ سَاعَاتٍ.

المَسْألَةُ الثَّامِنَة: خُطُواتُ تَحزِيبِ القُرآنِ، كَيفَ نَبدَأُ التَّدرِيبَ؟:

تَحزِيبُ القُرآنِ يَتِمُّ حسابُهُ كما يَلِي:

أوَّلًا: تحديدُ مقدارِ الوَقتِ اليَومِيِّ الَّذي تَمنَحُهُ للقُرآنِ، هل هوَ سَاعَةٌ؟ أو ساعَتانِ؟ أو أقلُّ أو أكثَرُ؟

ثانيًا: معرفةُ ما يُمكِنُ قراءتُهُ في هذا الوَقتِ؛ فيَتَحَدَّدُ

مقدارُ الحِزبِ، هل هوَ آيةٌ؟ أو مِئَةُ آيةٍ؟ هل هوَ وَجهٌ؟ أو عَشَرَةُ أَوجُهٍ؟ أو أَقَلُّ أو أَكثَرُ؟ مع مُرَاعَاةِ مِفتاحِ التَّرتِيلِ.

ثالثًا: بناءً على ما سَبَقَ يَتَحَدَّدُ المدَّةُ الَّتي تَختِمُ بها كُلَّ القرآنِ، أو ما تَحفَظُهُ مِنَ القُرآنِ: هل هيَ أسبوعٌ؟ أو شَهرٌ؟ أو أَقَلُّ أو أكثَرُ؟

رابعًا: يَتِمُّ تحديدُ مواعيدَ تَنفِيذِيَّةٍ يَومِيَّةٍ لِمَا تَمَّ تَحدِيدُهُ، وأن يُطَبِّقَ علَيها المفاتيحَ السَّبعةَ لإنجازِ الأهدافِ، وقواعدَ برنامجِ مواعِيدَ[1].

إنَّ مقياسَ التَّرقِّي والصُّعودِ هو مقدارُ الوَقتِ الَّذي تَمنَحُهُ للقِيَامِ بالقُرآنِ خلالَ أربعٍ وعِشرِينَ ساعَةً؛ فكُلَّمَا زادَ، دلَّ هذا على التَّرقِيَةِ وارتفاعِ المرتبةِ، إلى أن تَصِلَ إلى ما كانَ عليه الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عَلَيهِم.

فكُن معَ إخوانِكَ على الطَّرِيقِ، وابْدَأْ رِحلَةَ النَّجاحِ في الحياةِ مع القُرآنِ، وكُنْ مِنَ السَّائرِينَ على

---

(١) انظر تفصيل هذه المفاتيح والقواعد في كتاب: «مفاتيح إنجاز الأهداف، وبرنامج مواعيد».

الطَّريقِ؛ فَلَأَنْ تَرْحَلَ من هذه الدُّنيَا وأَنتَ تُجَاهِدُ، خَيرٌ من أن تَنْتَهِي حَياتُكَ وأنتَ قَانِعٌ بالجَهلِ والحِرمانِ.

المَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ: نَماذِجُ تَطبِيقِيَّةٌ لِتَحزِيبِ القُرآنِ:

هذه نماذِجُ تَطبِيقِيَّةٌ مُتَنَوِّعَةٌ؛ تُوَضِّحُ كَيفِيَّةَ تَطبِيقِ خَمسَةٍ من مفاتيحِ التَّدبُّرِ العَمَلِيَّةِ؛ وهي: **الحِفظُ**، و**القِيامُ**، و**التَّرتِيلُ**، و**التَّوقُّفُ**، و**التَّحزِيبُ**، ولِكُلٍّ من هذه المفاتيحِ أَثَرُهُ في نَوعِيَّةِ القراءةِ وتَأثِيرِهَا على القارِئِ.

تنبيهاتٌ:

- لم يَدخُلْ في حساباتِ هذا الجَدوَلِ الوَقتُ الَّذي يَستَغرِقُهُ بَقِيَّةُ أركانِ الصَّلاةِ في الحالاتِ مِنَ الرَّابعةِ إلى الثَّامِنَةِ.

- الأرقامُ المذكورةُ هنا للتَّمثِيلِ ولَيسَت للتَّحدِيدِ والتَّأصِيلِ.

- يُمَثِّلُ الجَدولُ أحوالَ النَّاسِ مع القُرآنِ؛ فانْظُرْ أينَ أَنتَ، وإن لم تَجِدْ لكَ مكانًا في هذا الجَدوَلِ فاعْلَمْ أنَّكَ على خَطَرٍ؛ فَتَدَارَكْ أَمْرَكَ!

م	مقدار الحزب (وجه)	القراءة حفظًا	القراءة في صلاة	مقياس الترتيل (دقيقة/ وجه)	عدد الأوجه في اليوم	الوقت اليومي (دقيقة)	مدة الدورة (يومًا)	عدد التكرار كل شهر	الوقت الشهري (دقيقة)	الوقت الشهري (ساعة)
١	٦٠٠	لا	لا	١,٥	٢٠	٣٠	٣٠	١	٩٠٠	١٥
٢	٦٠٠	لا	لا	٣	٢٠	٦٠	٣٠	١	١٨٠٠	٣٠
٣	٦٠٠	نعم	لا	٣	٢٠	٦٠	٣٠	١	١٨٠٠	٣٠
٤	٦٠٠	نعم	نعم	٥	٢٠	١٠٠	٣٠	١	٣٠٠٠	٥٠
٥	٦٠٠	نعم	نعم	٥	٨٦	٤٣٠	٧	٤	١٢٩٠٠	٢١٥
٦	٨٤	نعم	نعم	٥	١٢	٦٠	٧	٤	١٨٠٠	٣٠
٧	٢٠	نعم	نعم	١٠	٣	٣٠	٧	٤	٩٠٠	١٥
٨	١٠	نعم	نعم	١٠	١,٥	١٥	٧	٤	٤٥٠	٧,٥

ما سبق أمثلة، ويتفرَّع عن ذلك صورٌ أخرى كثيرةٌ تركتُها اختصارًا.

تحليلُ الجَدوَلِ:

- **الصورةُ السَّابعةُ أفضَلُ بكثيرٍ من الصورةِ الأُولَى**، وأَثَرُها في تحقيقِ القُوَّةِ النَّفسِيَّةِ كبيرٌ جِدًّا، ولَستُ مُبَالِغًا إنْ قُلْتُ: إنَّ الصُّورةَ الثَّامنةَ أَيضًا أَفضَلُ مِنَ الصُّورةِ الأُولَى.

- **الصُّورةُ الأُولَى هي حالُ مَن يَعتَبِرُ نَفسَهُ مِنَ المُشَمِّرِينَ في العنايةِ بالقُرآنِ**: بلا حفظٍ، ولا قيامٍ بالقُرآن، ولا ترتيلٍ، ولا توقُّفٍ!! فلماذا العَجَبُ من عَدَمِ التَّأَثُّرِ بالقُرآنِ وتحقيقِ الشِّفاءِ والهُدَى والرَّحمَةِ؟!

- **الصُّورةُ الخامسةُ هي حالُ كثيرٍ مِنَ الصَّحابةِ، وممَّن جاءَ النَّقْلُ الصَّرِيحُ عَنهُم بذَلِكَ**: ابنُ عُمَرَ، وعائشةُ، وابنُ عَمرِو بنُ العاصِ رضي الله عنهم، وحديثُ أَوسِ بنِ حُذَيفَةَ الثَّقَفِيِّ يَدُلُّ على أنَّ هذا هو هَدْيُ النَّبيِّ ﷺ وصحابتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم أجمَعِينَ، وكثيرٍ من أَئِمَّةِ السَّلَفِ، مِنهُم أئِمَّةُ الفِقهِ الأربعةُ، وأصحابُ الكُتُبِ السِّتَّةِ، وكَثِيرٌ ممَّن عُرِفُوا بالزُّهدِ والوَرَعِ، وعددٌ مِنَ المعاصِرينَ مِنَ العلماءِ وغَيرِهِم.

- **الصُّورةُ الرَّابعةُ لا تُمكِنُ إلَّا لِمَنْ أَتقَنَ حِفظَ القُرآنِ تَمَامًا**، وهذا لا يُنَاسِبُ المُبتَدِئِينَ في مَشرُوعِ النَّجاحِ مع القُرآنِ الكريمِ.

▪ **العُمقُ الحاصلُ في الصُّورةِ السَّادسةِ يُسَاوِي أربعةَ أَضعافِ الصُّورَةِ الرَّابِعَةِ**، وهذا أَمرٌ مُهِمٌّ جِدًّا في تَحصِيلِ القُوَّةِ والصِّحَّةِ النَّفسِيَّةِ.

▪ **الصُّورةُ الثَّالِثَةُ هي حالُ كثيرٍ مِمَّنْ يُحسَبُونَ مِن حَفَظَةِ القُرآنِ الكريمِ**، ومِنَ الواضحِ أنَّهُم ما زالُوا في بدايةِ الطَّريقِ.

▪ **مَن كانَ حَافِظًا للقُرآنِ الكريمِ، ولا يُمكِنُهُ القيامُ بهِ كامِلًا مُطَبِّقًا لكُلِّ مفاتيحِ التَّدبُّرِ، فالمُقتَرَحُ في حَقِّهِ أن يَقسِمَ حِفظَهُ قِسمَينِ:**

القِســمُ الأوَّلُ: يُطَبِّقُ علَيهِ مَفاتِيحَ التَّدبُّرِ العمليَّةَ كاملةً.

والقِسمُ الثَّاني: يَختِمُهُ كلَّ أُسبوعَينِ أو ثلاثةٍ خارِجَ الصَّلاةِ؛ من أَجْلِ المحافظةِ على حِفظِهِ، مع المجاهدةِ والتَّطلُّعِ إلى زيادةِ الوَقتِ المخصَّصِ للقيامِ بالقُرآنِ، وبالتَّالِي زيادةِ القِسمِ الأوَّلِ، وتقليلِ القِسمِ الثَّاني، إلى أن يَصِلَ إلى أن يَقرَأَ القُرآنَ كُلَّهُ حِفظًا في صلاةٍ في أُسبوعٍ.

فالقِسمُ الأوَّلُ يُحَقِّقُ لهُ القُوَّةَ النَّفسِيَّةَ ويُمِدُّهُ بالطَّاقةِ، **والقِسمُ الثَّاني** يَحفَظُ لهُ حِفظَهُ إلى أن يَتَيَسَّرَ لهُ أن يُطَبِّقَ عليه كُلَّ مفاتيحِ التَّدبُّرِ.

▪ **أيُّهما أولَى: التَّكرارُ الأُسبوعيُّ حِفظًا في صلاةٍ لبَعضِ القُرآنِ، أوِ التَّكرارُ الشَّهريُّ حِفظًا أو نَظَرًا لكُلِّ القُرآنِ في صلاةٍ أو خارجَ الصَّلاةِ؟**

* من خلالِ الجدولِ في المسألةِ السَّابقةِ يَتَبَيَّنُ أنَّ الأفضلَ الجَمعُ بينَهُما إنْ أمكَنَ، وإن لم يُمكِنْ فإنَّ الأَوَّلَ أَولَى وبدونِ مقارنةٍ؛ فالمُهِمُّ أن يكونَ لِكُلِّ مُسلِمٍ حِزبٌ يَومِيٌّ مِنَ القُرآنِ يَقرَؤُهُ حِفظًا، في صلاةٍ، في لَيلٍ، بتَرتِيلٍ وجَهرٍ، وتَكرَارٍ وتَوقُّفٍ، وأنْ يُحاوِلَ زيادتَهُ ما استطاعَ إلى ذلكَ سبيلًا، وسَبَقَ قريبًا بيانُ أهمِّيَّةِ التَّكرارِ الأُسبوعيِّ في المسألةِ الرابعةِ من هذا المفتاحِ.

إنَّ تَضييعَ أحدِ هذه المفاتيحِ يُؤَدِّي إلى نَقصٍ معيَّنٍ، وكُلَّمَا زادَ التَّضييعُ، زادَ النَّقصُ، فلْيَخْتَرْ كُلٌّ لنَفسِهِ المَرتَبَةَ الَّتي يُرِيدُها عندَ رَبِّهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

✿ المَسْأَلَةُ العَاشِرَةُ: التَّحزِيبُ تَربِيَةٌ عَلَى النَّجاحِ في تَحقِيقِ الأَهدَافِ:

إنَّ تحديدَ مواعيدَ للقيامِ بالقُرآنِ، والتَّدرِيبَ على تَنفيذِهَا بشَكلٍ يَومِيٍّ؛ **أي**: تَحدِيدَ أهدافٍ صغيرةٍ، ثُمَّ إنجازَهَا بِشَكلٍ يَومِيٍّ، هذا يُكسِبُ الإنسانَ مهارةَ التَّحدِيدِ

واتِّخاذِ القَرارِ، ومِن ثَمَّ التَّنفِيذِ وتَحقِيقِ الإنجازِ، وهيَ من أَهَمِّ مهاراتِ النَّجاحِ في الحياةِ، فجَدوَلُ التَّحزِيبِ الَّذي تُوَاظِبُ على إنجازِهِ كُلَّ يومٍ هو تَربِيَةٌ على النَّجاحِ في كُلِّ شُؤُونِ الحياةِ ومجالاتِهَا.

فالنَّجاحُ يُولَدُ صَغِيرًا، ثُمَّ يَكْبُرُ مع الأَيَّامِ إنْ تعاهَدَهُ صاحبُهُ بالتَّعلِيمِ والتَّدرِيبِ، ولو كانَ بكَمِّيَّاتٍ قليلةٍ.

إنَّ إنجازَ الهَدَفِ الصَّغيرِ يُشبِهُ إنجازَ المشروعِ الكبيرِ، الفَرقُ بَينَهُما في الحَجمِ فقط، أمَّا المهاراتُ والمعاني والأدواتُ، فهيَ مُشتَرَكَةٌ بينَ الاثنَينِ، وفي الواقعِ نُلَاحِظُ أنَّ الكثيرَ يَقدِرُ على الإنجازاتِ اليَسِيرَةِ ويَعجِزُ عنِ الكبيرةِ، والسَّبَبُ أنَّهُ لم يَكتَسِبِ اللِّيَاقَةَ اللَّازمةَ لذلكَ؛ فالمُتَدَرِّبُ يَكتَسِبُ من تدريبِهِ على تَحزِيبِ القُرآنِ هذهِ المهارةَ المهمَّةَ لإنجازِ وتحقيقِ الأهدافِ في الحياةِ، وهذا منَ المكاسبِ الفَرعِيَّةِ، **أمَّا المَكسَبُ الأصليُّ، فهو**: النَّجاحُ في القيامِ بالقُرآنِ الَّذي بهِ يَحصُلُ النَّجاحُ في الدُّنيا والآخرةِ.

❁ ❁ ❁



المِفْتَاحُ العَاشِرُ

الرَّبْطُ

❁ المَسْألَةَ الأولى: مَعنَى الرَّبْطِ:

المرادُ بالرَّبْطِ هو: الحِفظُ أوِ الذِّكرُ؛ بحَيثُ يَتِمُّ الاقتِرَانُ القَوِيُّ بَينَ اللَّفظِ وبَينَ المَعنَى في المرحلةِ الأُولَى، ثُمَّ يَتِمُّ الاقتِرَانُ بَينَهُمَا وبينَ الواقِعِ والتَّطبِيقِ.

وهذا الرَّبطُ يُعرَفُ عندَ علماءِ النَّفْسِ بالاقترانِ الشَّرطِيِّ، ويُعرَفُ في الوَقتِ الحاضرِ عندَ أهلِ البَرمَجَةِ بِـ: «الإرساءِ»، وهو ما يُعرَفُ في القُرآنِ والسُّنَّةِ بالذِّكرِ أوِ التَّذكُّرِ، وهو يَعنِي تَداعِيَ المعاني؛ كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

❁ المَسْألَةَ الثَّانِيَة: أنواعُهُ:

الرَّبطُ أوِ التَّداعِي نَوعانِ باعتبارِ مَصدَرِهِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: عَفوِيٌّ:

وهوَ إلهاماتٌ وفُتوحاتٌ يَفتَحُهَا اللهُ تعالى على مَن يَشاءُ من عبادِهِ.

النَّوعُ الثَّاني: قَصدِيٌّ:

وهوَ أن تَقُومَ برَبطِ المعنَى باللَّفظِ، ثُمَّ تُكَرِّرَهُ حتَّى يَرسَخَ ويَثبُتَ؛ **أي**: شَحنُ الألفاظِ بالمعاني.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَقسامُهُ:

القِسمُ الأوَّلُ: رَبطُ المعنى باللَّفظِ؛ **أي**: حِفظُ المعانِي.

القِسمُ الثَّانِي: رَبطُ العِلمِ بالعَمَلِ؛ **أي**: رَبطُ المَعنَى الَّذي تَمَّ حِفظُهُ بالواقِعِ والتَّطبِيقِ؛ **أيْ**: تَنزِيلُ الآيةِ على المواقِفِ والأحوالِ اليوميَّةِ الَّتي تَمُرُّ بالشَّخصِ، هو التَّمثُّلُ بالقُرآنِ في كُلِّ حَدَثٍ يَحصُلُ في اليَومِ واللَّيلةِ، بحَيثُ يَبْقَى القُرآنُ حَيًّا في القَلبِ؛ تُؤخَذُ منهُ الإجاباتُ والتَّفسيراتُ للحياةِ، وتُؤخَذُ منهُ التَّوجيهاتُ والأَنظِمَةُ في كُلِّ صَغيرةٍ وكبيرةٍ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: كَيفِيَّةُ الرَّبطِ:

أن تُكَرِّرَ اللَّفظَ مع استِحضارِ مَعنًى جديدٍ في كُلِّ

مَرَّةٍ، حتَّى تَمُرَّ على كلِّ المعانِي الَّتي يُمكِنُ أن تتذكَّرَهَا مِنَ النَّصِّ أوِ اللَّفظِ، **وقد سَبَقَ ذِكرُ كلامِ الحَسَنِ البَصرِيِّ حينَ قامَ اللَّيلَ كُلَّهُ يُكَرِّرُ قَولَ اللهِ** تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، **فلَمَّا قِيلَ لهُ؟ قالَ**: «إنَّ فيها مُعْتَبَرًا؛ مَا نَرْفَعُ طَرْفًا وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ على نِعمَةٍ».

والتَّكرارُ الَّذي يُحَقِّقُ الرَّبطَ نَوعَانِ:

الأوَّلُ: التَّكرارُ الآنِيُّ.

الثَّاني: التَّكرارُ الأُسبوعِيُّ.

أمَّا التَّكرارُ الآنيُّ، فسَبَقَ بيانُهُ في مفتاحِ التَّكرارِ والتَّوقُّفِ، وكذلكَ التَّكرارُ الأسبوعيُّ؛ سَبَقَ بيانُهُ في مفتاحِ التَّحزِيبِ.

❁ المَسْألَةُ الخَامِسَةُ: حساباتُ الألفاظِ والكلماتِ:

الألفاظُ قوالبُ المعاني وحساباتُهَا البَنكِيَّةُ؛ فكَلِمَةٌ عندَ شَخصٍ لها خَمسَةُ مَعانٍ، وعندَ آخَرَ سَبعَةُ معانٍ، وتكونُ عندَ ثالثٍ خاليةً لا تَعنِي لهُ شَيئًا.

إنَّ إدراكَ ووَعْيَ النَّاسِ لآياتِ القُرآنِ يَتَفاوَتُ تفاوُتًا كبيرًا، مع أنَّ الآيةَ هي الآيةُ يَقرَؤُهَا هذا ويَقرَؤُهَا هذا، وإنَّ مَا بَينَهُمَا في عُمقِ فَهمِ الآيةِ أوِ الجملةِ كما بَينَ المَشرِقَينِ.



خَاتِمَةُ البَحْثِ

أخي المسلمُ، بفِعلِكَ لِمَا سَبَقَ ذِكرُهُ من مفاتحِ التَّدبُّرِ تكونُ كَمَنِ استعمَلَ مِنظَارًا لتَقرِيبِ وتكبيرِ الصُّوَرِ، وهذا ما يَحصُلُ تمامًا لِقَارِئِ القُرآنِ بهذهِ الكَيفِيَّةِ؛ فإنَّهُ تكبُرُ في نَظَرِهِ المعاني، وتَزدادُ عُمقًا، ويَغزُرُ فَهمُهُ لمَضامِينِهَا، حتَّى إنَّهُ لَيَنْتَبِهُ إلى مَعانٍ لم يَكُنْ يُدرِكُهَا من قَبلُ، وألفاظٍ كَانَ يَمُرُّ بها دُونَ أن يَشعُرَ، حتَّى إنَّهُ لَيَقُولُ: سبحانَ اللهِ! لقد كُنتُ أَقرَأُ هذه السُّورةَ، أوِ الآيَةَ مُنذُ سنواتٍ؛ لكن لم أَفهَمْهَا كما فَهِمْتُهَا اليومَ؟

إنَّ البعضَ منَّا يريدُ أن يَتَدَبَّرَ القُرآنَ، ويَتَأَثَّرَ به، وهو لم يُهَيِّئِ الأسبابَ والوَسائلَ المُساعِدَةَ على فَهمِهِ وفِقهِهِ، حتَّى أَدنَى درجاتِ التَّركِيزِ والهدوءِ لا يَحرِصُ علَيها في قِراءتِهِ للقُرآنِ، لماذا؟ لأنَّهُ قَصَرَ هِمَّتَهُ على نُطقِ الألفاظِ، وما يَحصُلُ من حسناتٍ مُقابِلَ ذلكَ.

إنَّ مَن وَاظَبَ على قراءةِ القُرآنِ كما تَمَّ بيانُهُ ووَصفُهُ

من حالِ السَّلَفِ، فإنَّهُ سيَصِلُ إلى حياةِ قَلبِهِ، وقُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ، وصِحَّةِ نَفسِهِ، وعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وقُوَّةِ إرادتِهِ، وهذهِ هيَ مُرتَكزاتُ النَّجاحِ الحقيقيَّةُ، ذَلِكُمُ النَّجاحُ الشَّامِلُ المتكامِلُ الثابتُ في حالِ الشِّدَّةِ؛ كما هو حاصلٌ في حالِ الرَّخاءِ.

إنَّ مَن طَبَّقَ هذه المفاتيحَ العَشَرَةَ فبِإِذْنِ اللهِ سَيَرَى بأُمِّ قَلبِهِ نُورَ القُرآنِ، ويُصبِحُ من أولياءِ اللهِ الَّذِينَ لا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ، الَّذِينَ مَدَحَهُم بقَولِهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

نَسأَلُ اللهَ الكريمَ بمَنِّهِ وفَضلِهِ أن يَجعَلَنا مِنهُم، واللهُ المُوَفِّقُ والهادي إلى الصِّرَاطِ المستقيمِ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ على نَبِيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِينَ.



مُلْحَق (١)

رِحلَتِي مَعَ الكِتَابِ

بدأتْ رِحلَتِي مع هذا الكتابِ مُنذُ أن عَقَلْتُ وأدرَكْتُ أنَّ الحياةَ مجاهَدَةٌ، ومصابَرَةٌ، وصِرَاعٌ بَينَ الحَقِّ والباطِلِ، والخيرِ والشَّرِّ، وأنَّ الثَّباتَ على الحَقِّ وتَحصِيلَ الخَيرِ لا بُدَّ لهُ من جُهدٍ، ومن عَمَلٍ.

كانتِ البدايةُ مع كتابِ: «الجوابِ الكَافِي»؛ أَقْرَؤُهُ كُلَّمَا أَحسَسْتُ بضَعفِ السَّيطَرَةِ على النَّفسِ، وضَعفِ الإرادةِ والوُقوعِ في النَّقائصِ، فكُنتُ أَجِدُ فيهِ العلاجَ، وأَنتَفِعُ به حِينًا مِنَ الدَّهرِ، ثُمَّ انْتَقَلْتُ إلى كُتُبِ المُثَقَّفِينَ والمفكِّرِينَ المعاصِرِينَ أَمثالِ: «قوارِبِ النَّجاةِ»، و: «حديث الشَّيخ»، و: «تَربِيَتُنَا الرُّوحِيَّةُ»، و: «جَدِّدْ حَيَاتَكَ»، وغَيرِهَا من كُتُبٍ؛ جعلتُهَا قريبةً مِنِّي أَقرَؤُهَا باستِمرَارٍ.

ثم جاءَتْ مُدَّةٌ تَعَلَّقْتُ فيها بكتابِ: «إحياءِ عُلُومِ الدِّينِ»، لأبي حامد الغزاليِّ، و: «مِنهَاج القاصِدِينَ»، لابنِ الجَوزِيِّ، و«مُختَصَرِهِ» لابنِ قُدامَةَ.

وفي المرحلةِ الجامعيَّةِ كانَ التَّوجُّهُ نحوَ كُتُبِ الغَربِ، والَّتي بَدَأَتْ تَغزُو الأسواقَ؛ من ذلك: «كَيفَ تَكسِبُ الأَصدِقَاءَ»، «دَعِ القَلَقَ وابْدَأِ الحَيَاةَ»، «سَيطِرْ عَلَى نَفسِكَ»، «سُلطَانُ الإرادةِ». . . وغَيرُهَا، فكُنتُ أَرجِعُ إلَيهَا كُلَّمَا حَصَلَتْ مُشكِلَةٌ أَوِ احْتَجْتُ إلى عِلَاجِ مسألةٍ، وكُنتُ قَرَأْتُهَا أكثَرَ مِن مَرَّةٍ، ولَخَّصْتُ ما فِيهَا على شَكلِ قواعدَ وأُصُولٍ، وفي حِينِهَا كانَ يَتَرَدَّدُ على خاطِرِي سؤالٌ مُحَيِّرٌ: كيفَ يَكُونُ العلاجُ والتَّغيِيرُ في مِثلِ هذه الكُتُبِ ولا يَكُونُ في القُرآنِ؟!

ثمَّ تَلَتْهَا مَرحَلَةٌ أُخرَى تَعَلَّقْتُ بكتابِ: «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»، وخاصَّةً بعدَما طُبِعَ «تَهذِيبُهُ» في مجلَّدٍ واحِدٍ؛ فكانَ رَفِيقِي في السَّفَرِ والحَضَرِ؛ أَقرَأُ فِيهِ بهَدَفِ تَقوِيَةِ العَزِيمَةِ ومجاهدةِ النَّفسِ.

ثمَّ جاءَتْ مرحلةٌ لم يَمضِ عليها سِوَى سنواتٍ، اتَّجَهْتُ إلى كُتُبِ وأشرطةِ القُوَّةِ وتَطوِيرِ الذَّاتِ، وكانت بَدَأَتْ تتَنَافَسُ في جَذبِ النَّاسِ، فاشْتَغَلْتُ في الكثيرِ مِنهَا طَلَبًا للتَّطوِيرِ والتَّرقِيةِ، من ذلكَ: كتابُ: «العادات السَّبع»، و: «أَيْقِظ قُوَاكَ الخَفِيَّةَ»، و: «إدارةِ الأَوْلَوِيَّاتِ»، و: «القراءةِ السَّرِيعَةِ»، و: «كَيفَ تُضاعِفُ ذَكاءَكَ»،

و: «المفاتِيحِ العَشَرَةِ للنَّجاحِ»، و: «البَرمَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ العَصَبِيَّةِ»، و: «كَيفَ تُقَوِّي ذَاكِرَتَك.. كُن مُطمَئِنًّا»، و: «السَّعادةِ في ثلاثةِ شُهورٍ»، و: «كَيفَ تُصبِحُ مُتَفَائِلًا»، و: «أَيقِظِ العِمْلَاقَ»... إلخ من قائمةٍ لا تَنتَهِي، كُنتُ أَقرَؤُهَا، أو أَسمَعُهَا بكُلِّ دِقَّةٍ وأَنَاةٍ؛ باحِثًا فيها عمَّا عساهُ يُغَيِّرُ مِنَ الواقعِ شَيْئًا، ويَحصُلُ بِهِ الانطلاقُ والتَّخلُّصُ من نقاطِ الضَّعفِ، ولكن دُونَ جَدْوَى، وأَحمَدُ اللهَ تعالى أنَّها كانت دُونَ جَدْوَى، وأنِّي نَجَوْتُ مِنَ الفتنةِ بهذه المصادرِ البَشَرِيَّةِ للنَّجاحِ[1]، فكيفَ سيكونُ حالي لو كُنتُ حَصَلْتُ

---

(١) فَهِمَ بعضُ المحبِّين من الكلام السابق نفيَ التأثير والفائدة عن الكتب والإصدارات السالفة الذكر، وهو فهمٌ غيرُ صحيح، بل الكلام السابق يؤكِّد أنَّ لها أثرًا، لكنه لا يقارن أبدًا بالأثر الذي يُحدِثه القرآن الكريم لمَن نجح في تدبُّره، وشتَّانَ بين من يحصِّل النجاح من القرآن الكريم ومن يحصُل عليه بواسطة أمر آخر!
وبعض الإخوة يقول: أليس عددٌ من الكتب المذكورة هي تفسير للقرآن وشرح للسُّنَّة، فلِمَ نفيتَ عنها الأثر؟!
والجواب: أني أوَّلًا لم أنفِ عنها الأثر، وثانيًا: هناك أصل وفروع، والخطأ الذي كنت واقعًا فيه أنِّي اعتبرتُ هذه الكتب في كلِّ مرحلة من المراحل المذكورة هي الأصل في تحقيق النجاح، وغفلت عن أثر القرآن في هذا الأمر، فكنت أقرؤه لأجل الحفظ، ولأجل الثواب فحَسْب.

على النَّجاحِ من تِلكَ الكُتُبِ ونَسِيتُ كتابَ رَبِّي إلى أن فارَقْتُ الحياةَ؟

إنَّ السُّؤالَ المُحَيِّرَ، والَّذي يَدعُو للعَجَبِ والاستغرابِ: هل هذهِ الغَفلَةُ عن أَثَرِ القُرآنِ في تحقيقِ النَّجاحِ في الحياةِ حَصَلَتْ من شَخصٍ يَعِيشُ في مجاهلِ أفريقيا؟ أو أدغالِ آسيا ولم يَبْلُغْهُ القُرآنُ؟ أو أنَّها حَصَلَت من شَخصٍ يَحفَظُ القُرآنَ وهو في المرحلةِ المتوسِّطَةِ، ومع هذا لم يَنتَفِعْ به لأنَّهُ نَسِيَ هذه المفاتيحَ.

هذا هو السُّؤالُ المُحَيِّرُ الَّذي كُنتُ أَبحَثُ عن إجابتِهِ؟ **فوجَدتُّها والحَمدُ للهِ**، وضَمَّنْتُها هذا الكتابَ، فإيَّاكَ - أَخِي المسلِمُ - أن تَرحَلَ من هذه الدُّنيا ولم تَذُقْ أَلَذَّ وأَطيَبَ ما فيها؛ إنَّهُ القُرآنُ كلامُ اللهِ، الَّذي لا يُشبِهُ التَّنعُّمُ بهِ أيَّ نَعِيمٍ على الإطلاقِ، وهو حاصِلٌ بإذنِ اللهِ تعالى لِمَنْ أَخَذَ بهذه المفاتِيح الَّتي هُدِيَ إليها سَلَفُنا الصَّالِحُ، ففَتَحَتْ لهُم كُنُوزَ القُرآنِ، وبها فُتِحَتْ لهُم كُنوزُ الأَرضِ وخَيراتُها؛ فكَانُوا خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ.

❁ ❁ ❁

مُلْحَق (٢)

أَفْضَلُ هَدِيَّةٍ يُقَدِّمُهَا وَالِدٌ إِلَى وَلَدِهِ

إنَّ أَعظَمَ هديَّةٍ يُقدِّمُها والِدٌ إلى وَلَدِهِ، وأَعظَمَ إِحسانٍ يُسدِيهِ إلَيهِ؛ أن يُرَبِّيَهُ على مفاتحِ تدبُّرِ القُرآنِ ـ الَّتي ذَكَرتُها عنِ السَّلَفِ ـ مُنذُ الصِّغرِ؛ حتَّى يَتَسَلَّحَ بالقُرآنِ في هذا العَصرِ الَّذي كَثُرَتْ فيه الفِتَنُ، وانْتَشَرَ فيه القَلَقُ والمَلَلُ، وزادَتِ الأمراضُ النَّفسِيَّةُ، وضَعُفَتِ النُّفوسُ عن تحمُّلِ المصائبِ، وصارَ النَّاسُ يَبحَثُونَ عنِ التَّسلِيَةِ والتَّروِيحِ عنِ النَّفسِ بوَسائِلَ شَتَّى، حتَّى أَرهَقَتْهُم بَدَنِيًّا ومَالِيًّا، ووَصَلُوا معها إلى طريقٍ مَسدُودٍ، **وصَدَقَ عليهم قَولُ الشَّاعِرِ:**

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

إنَّ النَّاشِئَ على القيامِ بالقُرآنِ، يَقرَؤُهُ كما وَصَفْتُ، يَنشَأُ قَوِيَّ النَّفسِ، قَوِيَّ البَدَنِ، ثَابِتَ الخُطَا، يَشُقُّ طريقَهُ في الحياةِ بلا مخاوِفَ، ولا مَشاكِلَ بإذنِ اللهِ تعالى؛ لأَنَّهُ يَجِدُ التَّفسيرَ الواضحَ الثَّابِتَ لكُلِّ المَواقِفِ الَّتي يَمُرُّ بها في

الحياةِ، ولِكُلِّ المناهجِ والأُطرُوحَاتِ الَّتي تَتَنافَسُ في إثباتِ وُجُودِهَا.

وما زِلنا نَسمَعُ ونَرَى صُوَرًا ومَآسِيَ لانحرافاتٍ فكريَّةٍ وخُلُقِيَّةٍ تَحصُلُ من أبناءِ المسلمِينَ، وما ذاكَ إلا بسَبَبِ التَّفريطِ في الرَّبطِ بالقُرآنِ حَبلِ اللهِ المتِينِ، الَّذي ما ضَلَّ مَن تَمَسَّكَ به، والتَّمسُّكُ به لا يكونُ أَبَدًا إلَّا بما سَبَقَ بيانُهُ من وسائلَ ومفاتيحَ.

إنَّ هذا أَسهَلُ وأَخصَرُ الطُّرقِ في تَربيةِ الأولادِ لِمَنْ وُفِّقَ إلَيهِ وقَدَرَ عليهِ، أمَّا مَن حُرِمَهُ، فإنَّهُ سَيَظَلُّ حَبيسَ تَجارِبَ وطُرُقٍ وأفكارٍ لا أوَّلَ لها ولا آخِرَ، تجارِبَ ووسائلَ متبايِنةٍ ومُكَلِّفَةٍ وصَعبَةِ التَّطبيقِ، وضَعيفَةِ النَّتائجِ، وهَشَّةِ البِنَاءِ، لا تَصمُدُ للمَواقِفِ الصَّعبةِ واللَّحظاتِ الحَرِجَةِ.

❀ **تَذَكَّرْ أنَّكَ حِينَ تُرَبِّي ابنَكَ مُنذُ الصِّغَرِ على القُرآنِ بالطريقةِ الَّتي وَصَفْتُهَا**، فإنَّكَ تُثَبِّتُ في قَلبِهِ رَقِيبًا يَصحَبُهُ أَينَمَا ذَهَبَ وفي كُلِّ وَقتٍ؛ وحِينَها لا تَحتَاجُ أبدًا إلى مراقبتِهِ ومتابعتِهِ؛ لأنَّ رَقِيبَهُ حاضرٌ في صَدرِهِ وبقُوَّةٍ؛ فتنامُ بذلك قريرَ العَينِ، وتَجنِي ثمرةَ ما زَرَعْتَهُ في قَلبِهِ في سَنواتِ حياتِهِ الأُولَى.

إنَّ تربيةَ الطِّفلِ على النَّجاحِ بالقُرآنِ يكونُ حَسَبَ الخُطُواتِ التَّاليةِ:

- الحِفظُ التَّربويُّ للفاتحةِ ودعاءِ حُبِّ القُرآنِ.
- الحِفظُ التَّربويُّ[(١)] لمقدارٍ مِنَ القُرآنِ الكريمِ ولو كانَ قَلِيلًا.
- الحِفظُ التَّربويُّ للنُّصوصِ الَّتي تُبَيِّنُ عَظَمَةَ القُرآنِ الكريمِ ومَنهَجَ التَّعامُلِ معه بالتَّدرِيجِ والتَّكرَارِ.
- التَّدرِيبُ على صلاةِ النَّافِلَةِ بالتَّدرِيجِ والتَّشجِيعِ، حتَّى تَسهُلَ عليهِ ويَتَعَوَّدَ عَلَيهَا.

ويُمكِنُ في الأسرةِ أوِ الحَلْقَةِ أن يُدْعَمَ هذا الأمرُ بكَثرَةِ المُدَارَسَةِ لِمِثْلِ هذه النُّصوصِ بشَكلِ حَلَقَاتِ نِقَاشٍ تُنَاسِبُ صغارَ السِّنِّ، أو مسابقةٍ، بحَيثُ تَسأَلُ: مَن يَحفَظُ حديثَ كَذَا؟ ما مَعنَى كَذَا؟ مَاذَا نَستَنْبِطُ من هذه الآيةِ؟ ماذا نَفهَمُ من هذا الحديثِ... وهكذا في عمليَّةٍ إعلاميَّةٍ مستمرَّةٍ لا تَهدَأُ حتَّى تُورِقَ الأشجارُ، وتَنضَجَ الثِّمارُ.

قد يُوَاجِهُ المُرَبِّي صعوبةً في تطبيقِ ما ذُكِرَ مع بَعضِ النَّاشِئَةِ، وهذا مُتَوَقَّعٌ؛ لأنَّ ما يَقُومُ بهِ هوَ أمضَى وأَقوَى بناءٍ تَربَوِيٍّ، وهناكَ عَدُوٌّ مُتَرَبِّصٌ بمَن يَسلُكُ هذا الطَّريقَ؛

---

(١) يرجى مراجعة كتاب: «الحفظ التربوي للقرآن، وصناعة الإنسان»، ومحاولة الفهم الصحيح للمقصود.

كما أخبَرَنَا اللهُ تعالى عنهُ؛ إذ يقولُ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]؛ فعَلَى المُرَبِّي بالصَّبْرِ والثَّبَاتِ حتَّى يُحَصِّلَ النَّصْرَ، وعليه بكَثْرَةِ التَّضرُّعِ إلى اللهِ تعالى أن يُيَسِّرَ لهُ هذا الأمرَ، وعليه بكَثْرَةِ الرُّقيَةِ بالقُرآنِ لِمَنْ كانَ هذا شأنَهُ؛ حتَّى يَلِينَ ويَنقَادَ بإذنِ اللهِ تعالى.

إنَّ القُرآنَ أُنزِلَ مَوعِظَةً للنَّاسِ، وشِفَاءً لِمَا في الصُّدورِ، وهُدًى ورَحمَةً، فارْحَمُوا أولادَكُم بتَربِيَتِهِم على القُرآنِ، إنَّهُ لَتَقْصِيرٌ عَظِيمٌ أن نَنظُرَ إلى أولادِنَا يَكبَرُونَ يَومًا بعدَ يَوم، ويَخرُجُونَ إلى الحياةِ، وهم فارِغُونَ منَ القُرآنِ؛ لا يَعرِفُونَ قَدْرَهُ، ولا كَيفَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهُ، ولا يَحفَظُونَ مِنهُ شَيْئًا، ولم يَتَدَرَّبُوا على القيامِ به، إنَّهُم في صِغَرِهِم مُطِيعُونَ سَهْلٌ قِيَادُهُم، فَهَلْ نُهمِلُهُم حتَّى إذا كَبِرُوا وبَدَأَتْ تَظهَرُ عليهِم ثمارُ إهمالِنَا وتَقصِيرِنَا ذَهَبْنَا نُفَتِّشُ عنِ الحُلُولِ، ونَبحَثُ عمَّنْ يُسعِفُنَا بعدَ فواتِ الأوانِ؟!

ارحَمُوا أطفالَكُم بتَربِيَتِهِم على القُرآنِ، على الهُدَى الَّذي أَنزَلَهُ اللهُ رَحمَةً وهِدَايَةً لهُم؛ لِكَيْ يَفهَمُوا الحياةَ فَهْمًا سَدِيدًا صَحِيحًا؛ فلا يَضِلُّوا، ولا يَشْقَوْا، ولا يَتعَبُوا في هذه الحياةِ بعدَ أن يَكبَرُوا.

مُلحَق (٣)

القُرآنُ والصِّيامُ

❁ المَسْألَةَ الأُولى: العَلاقةُ بَينَ التَّدبُرِ والصَّومِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو ﵄؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **(الصِّيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ)**، قَالَ: **(فَيُشَفَّعَانِ)**[(١)].

إنَّ الجمْعَ بينَ الصِّيامِ والقيامِ في هذا الحديثِ ـ وكذلكَ مشروعيَّةُ صَومِ رمضانَ مع قيامِهِ ـ يَدُلُّ على أنَّ هناكَ عَلاقةً وَطِيدَةً بينَهُمَا، **فمِن أعظَمِ وأهَمِّ الحِكَمِ من مشروعيَّةِ صِيَامِ نَهارِ رَمَضَانَ: تَهْيِئَةُ القَلبِ لتَدبُّرِ القُرآنِ** حينَ

(١) مسند أحمد بن حنبل: (٢/ ١٧٤)، (٦٦٢٦)، وصحَّحه أحمد شاكر، مستدرك الحاكم: (١/ ٤٧٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، مصنف ابن أبي شيبة: (٦/ ١٢٩)، (٣٠٠٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني: (١/ ٤٨٣)، (٩٦٩).

القيامِ به في اللَّيْلِ، والمُشاهَدُ أنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ يُفَوِّتُونَ على أنفُسِهِم هذه المَصلَحَةَ العظيمةَ حينَما يُسرِفُونَ في الطَّعامِ والشَّرابِ وَقتَ الإفطارِ والعَشَاءِ.

لقد أَثبَتَ الطِّبُّ الحديثُ، والطِّبُّ البديلُ أهميَّةَ الصِّيامِ لصَفاءِ القَلبِ وقيامِهِ بوظائفِهِ المادِّيَّةِ والمعنويَّةِ، ولا أُرِيدُ التَّفصِيلَ في هذه القضيَّةِ؛ فالمقامُ لا يَسمَحُ لكِنِّي أُرشِدُ إلى بعضِ المَراجِعِ[1]، وإنْ كُنتُ على يَقِينٍ من حكمةِ تَشرِيعِ الصِّيَامِ بدُونِ عَناءِ الرُّجُوعِ إلى تِلكَ الكُتُبِ وصَرفِ الوَقتِ والجُهدِ في قراءتِهَا؛ يَكفِينَا في هذا قَولُ اللهِ تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

إنَّها رسالةٌ من رَبِّ العالَمِينَ تَحمِلُ الكثيرَ والكثيرَ مِنَ الإشاراتِ والإرشاداتِ.

إنَّ اللهَ تعالى يُقَرِّرُ لنا هذه القاعدةَ العظيمةَ: أنَّ الصِّيامَ خيرٌ لَنَا، وإنَّ مِن بَعضِ خَيرِهِ ما تَمَّ إثباتُهُ بالتَّجارِبِ المِخبَرِيَّةِ ومن تجارِبِ العُلَماء الَّذينَ يُؤَكِّدُونَ على أهميَّةِ

---

(١) **من ذلك كتاب:** «ريجيم الصوم»، (نشر: دار طويق). «الصوم والصحة»، نجيب الكيلاني. «صوموا تصحوا ـ دراسة علمية لفوائد الصوم»، للشيخ سعيد الأحمري، (دار المعارف). «عالج نفسك بالصيام»، لمحيي الدين عبد الحميد.

هذه العَلاقةِ بينَ الصِّيامِ وبَينَ التَّفكِيرِ والفَهمِ والتَّدبُّرِ، إنَّ شواهِدَ صِحَّتِهَا وأقوالَ أهلِ التَّجربةِ وأحوالَهُم من علماءِ المسلمِينَ وغير المسلمِينَ لا يَتَّسِعُ لهُ كتابٌ، وما لم يُنقَلْ عَنهُم من أقوالٍ وأحوالٍ أكثَرُ وأكثَرُ، فالقَلِيلُ منهم عَبَّرَ عن حالِهِ، وذَكَرَ ما وَجَدَ، وغَيرُهُم كَثِيرٌ وَجَدَ ولم يَذكُرْ.

فإنْ أَردتَّ حَقًّا تَدَبُّرَ القُرآنِ، والتَّأَثُّرَ بهِ، فعَلَيكَ بهذا المفتاحِ العجيبِ، وخاصَّةً في رَمَضانَ؛ إنَّهُ الصِّيامُ، الصِّيَامُ الصَّحِيحُ الَّذي يَحرِصُ فيهِ الصَّائمُ على تطبيقِ ما جاءَ في حديثِ المِقْدَامِ بنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)**(١)، وهذا الحديثُ أَصلٌ جامِعٌ لأُصولِ الطِّبِّ كُلِّهَا، **وقد رُوِيَ أنَّ ابن أبي مَاسَوَيْهِ الطَّبِيبَ لمَّا قَرَأَ هذا الحديثَ في كتابِ أبي خَيْثَمَةَ ـ: قالَ:** «لَوِ استَعْمَلَ النَّاسُ هذه الكلماتِ، لَسَلِمُوا مِنَ الأمراضِ والأَسقَامِ، ولَتَعَطَّلَتِ المارشاياتُ(٢) ودَكاكِينُ الصَّيادِلَةِ».

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (٤/ ١٣٢)، سنن الترمذي: (٤/ ٥٩٠)، سنن ابن ماجه: (٢/ ١١١١)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) **أي**: المستشفيات.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَعنَى الصَّومِ:

ليسَ معنَى الصَّومِ أن تُمسِكَ عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ مُدَّةً، ثُمَّ تَلتَهِمَ أضعافَ ما أَمْسَكْتَ عَنهُ؛ هذا بِكُلِّ تأكِيدٍ لَيسَ صَومًا نَافِعًا، إنَّ الصَّومَ الَّذي يَنفَعُ صاحِبَهُ هو ما يَقترِنُ به عدمُ الشِّبَعِ حالَ الإفطارِ.

إنَّ بعضَ الشَّبابِ يقولُ: قد صُمتُ، فما وَجَدتُّ الوِجَاءَ الَّذي أَخبرَ به النَّبيُّ ﷺ؟ **نَقُولُ**: نَعَمْ، إنْ كُنتَ في وَقتِ فِطرِكَ تَتَقَاضَى من وَقتِ صَومِكَ، وتَرُدُّ الصَّاعَ صَاعَيْنِ، فَهَذَا لَيسَ بصَومٍ على الحقيقةِ؛ بل هو إرهاقٌ للبَدَنِ وتَعذِيبٌ له؛ لأنَّ الهَدَفَ مِنَ الصَّومِ حمايةُ الجَسَدِ عامَّةً والقَلبِ خَاصَّةً من سُمومِ الأطعمةِ والأشربةِ، وهذا معنَى قولِ النَّبيِّ ﷺ: (**فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**)؛ ذلكَ أنَّ القَلبَ إذا استَرَاحَ من سُمومِ الأطعمةِ، صَفَا وَرَقَّ.

✿ المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أقوالُ السَّلَفِ في أهمِّيَّةِ الصَّومِ:

١ ـ قالَ المَروَزِيُّ: قُلتُ لأبي عبدِ اللهِ ـ يَعنِي: الإمامَ أحمَدَ ـ: «يَجِدُ الرَّجُلُ مِن قَلبِهِ رِقَّةً وهو شَبعٌ؟ قالَ: مَا أَرَى!».

٢ ـ وعن نافعٍ عنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما؛ قالَ: «مَا شَبِعْتُ مُنذُ أَسْلَمْتُ».

٣ ـ **وعن محمَّدِ بنِ وَاسِعٍ؛ قالَ:** «مَنْ قَلَّ طُعْمُهُ، فَهِمَ وأَفهَمَ، وصَفَا ورَقَّ، وإنَّ كَثْرَةَ الطَّعامِ لَيُثْقِلُ صَاحِبَهُ عَن كَثِيرٍ مِمَّا يُرِيدُ».

٤ ـ **وعن أبي سُلَيمانَ الدَّارَانِيِّ؛ قالَ:** «إذَا أَرَدتَّ حَاجَةً مِن حَوَائِجِ الدُّنيَا والآخرةِ، فلا تَأْكُلْ حَتَّى تَقْضِيَهَا، فَإِنَّ الأَكْلَ يُغَيِّرُ العَقْلَ».

٥ ـ **وعن قُثَمَ العابِدِ؛ قالَ:** «كَانَ يُقَالُ: ما قَلَّ طُعمُ امْرِئٍ قَطُّ إلَّا رَقَّ قَلبُهُ، ونَدِيَتْ عَيْنَاهُ».

٦ ـ **وعن أبي عِمرَانَ الجَونِيِّ؛ قالَ:** «كانَ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ أَن يُنَوَّرَ قَلْبُهُ، فَلْيَقِلَّ طُعْمُهُ».

٧ ـ **وعن عُثمانَ بنِ زائدةَ؛ قالَ:** «كَتَبَ إِلَيَّ سُفيانُ الثَّورِيُّ: إنْ أَرَدتَّ أَنْ يَصِحَّ جِسْمُكَ، وَيَقِلَّ نومُكَ، فَأَقْلِلْ مِنَ الأَكْلِ».

٨ ـ **وعن إبراهيمَ بنِ أَدهَمَ؛ قالَ:** «مَن ضَبَطَ بَطْنَهُ، ضَبَطَ دِينَهُ، ومَن مَلَكَ جُوعَهُ، مَلَكَ الأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ».

٩ ـ **وقالَ الحَسَنُ بنُ يَحيَى الخُشَنِيُّ:** «مَن أَرَادَ أَن تَغْزُرَ دُمُوعُهُ، وَيَرِقَّ قَلبُهُ، فَلْيَأْكُلْ وَلْيَشْرَبْ فِي نِصْفِ بَطْنِهِ؛ وقالَ أحمَدُ بنُ أبي الحَوَارِيِّ: فَحَدَّثْتُ بهذا أبا سُلَيمانَ،

فقالَ: إنَّما جاءَ الحديثُ: «ثُلُثُ طَعَامٍ، وثُلُثُ شَرَابٍ»، وأَرَى هؤلاءِ قد حَاسَبُوا أَنفُسَهُم فرَبِحُوا سُدُسًا».

١٠ ـ وعنِ الشَّافعيِّ؛ قالَ: «ما شَبِعْتُ مُنذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، إلَّا شَبْعَةً اطَّرَحْتُهَا؛ لأنَّ الشِّبَعَ يُثقِلُ البَدَنَ، ويُزِيلُ الفِطنَةَ، ويَجلُبُ النَّومَ، ويُضعِفُ صاحِبَهُ عنِ العبادةِ».

١١ ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: «أوَّلُ بِدعَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: الشِّبَعُ؛ إنَّ القَوْمَ لَمَّا شَبِعَتْ بُطُونُهُم، جَمَحَتْ بِهَا نُفُوسُهُم إلى الدُّنْيَا»[1].



(١) ما سبق ذكره من الأقوال منقول عن «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

مُلْحَق (٤)

رِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مُعَلِّمٍ وَمُعَلِّمَةٍ فِي العَالَمِ

أخي المُعلِّمُ، أُختِي المُعلِّمةُ: يا مَن يَسَّرَ اللهُ لَكُم قُلُوبَ النَّاشِئَةِ، تَسمَعُ لَكُم وتُطِيعُ، وتُقَدِّسُ كلامَكُم، وتَرَى فِيكُمُ القُدوَةَ الحَسَنَةَ، والمَثَلَ الَّذِي يُحتَذَى، إلَيكُم أُوَجِّهُ هذه الرِّسَالَةَ؛ وهيَ أن تَسْعَوْا جاهِدِينَ في تَوصِيلِ ما تَضَمَّنَهُ هذا الكتابُ من أُمورٍ علمِيَّةٍ وعَمَلِيَّةٍ بأُسلُوبِكُم وطَرِيقَتِكُمُ الخاصَّةِ، بحيثُ يَتَرَسَّخُ لَدَى النَّاشئةِ عِلمًا وعَمَلًا، إنَّ نَجاحَهُم وسعادَتَهُم وقُوَّتَهُم بهذا القُرآنِ العظيمِ؛ وَجِّهُوهُم إلى كَيفِيَّةِ القيامِ بالقُرآنِ، وعلِّمُوهُم أنَّهُ الطَّريقُ لتَثْبِيتِ مَعانِيهِ العَظِيمَةِ في القُلُوبِ، عَلِّمُوهُم كَيفَ يَدْعُونَ اللهَ تعالى أن يَرزُقَهُم حُبَّ القُرآنِ، وأن يَفتَحَ لَهُم كُنُوزَهُ، وأنْ يُضِيءَ لَهُم أَنوارَهُ، وَضِّحُوا لَهُم بتَفصِيلٍ واستِمرارٍ أنَّ الحياةَ بِدُونِ القُرآنِ العظيمِ شَقَاءٌ وضَلَالٌ وضَياعٌ، وأنَّ اللهَ تعالى أَنزَلَ هذا القُرآنَ العظيمَ رَحمَةً وهُدًى للعَالَمِينَ.

احْتَوَى الكتابُ على عددٍ مِنَ الآياتِ، والأحاديثِ،

وأقوالِ السَّلَفِ، ممَّا يُبيِّنُ كيفيَّةَ التَّعامُلِ مع القُرآنِ العظيم، والانتفاعِ به، فَسِّرُوهَا واشْرَحُوها لَهُم، واجْعَلُوهُم يَحفَظُونَ مِنهَا ما يَستَطِيعُونَ؛ لِيَكُونَ حافِزًا لهُم للعَمَلِ بها.

تَفَقَّدُوهُم بينَ الحِينِ والآخَرِ، ورَاقِبُوا تفاعُلَهُم معَ ما تُعَلِّمُونهُم إيَّاهُ في هذا الأمرِ المُهِمِّ في حياتِهِم؛ إنَّهُم بذلكَ يكونون حَسَنَةً من حَسَنَاتِكُم، وغَرْسًا من غِرَاسِكُم، تَسعَدُوا وتُسَرُّوا حِينَ تَرَوْنَهُم سُعَدَاءَ، تَرَوْنَهُم نَافِعِينَ مُؤَثِّرِينَ في أُمَّتِهِم.

أَرجُو مِنكُم الاحتسابَ في تَوصِيلِ مادَّةِ الكتابِ، لِمَنْ تَحتَ أَيدِيكُم من فَلَذاتِ أَكبَادِنَا، الَّذِينَ يُؤْلِمُنَا واقِعُهُمُ المُحزِنُ، وما يُعَانِيهِ الكثيرُ مِنهُم مِن قَلَقٍ، وضَيَاع فِكرِيٍّ وخُلُقِيٍّ، في زَمَنٍ كَثُرَ فيه قُطَّاعُ الطَّرِيقِ وتَنَوَّعَتْ أطماعُ الطَّامِعِينَ ووسَائِلُهُم، وتَخَبَّطَ الكَثِيرُونَ في البَحثِ عنِ القُوَّةِ والتَّطوِيرِ وتحقيقِ النَّجاحِ في الحياةِ، وهوَ في أَيدِيهِم، في هذا القُرآنِ العظيم.

إنَّ الكتابَ يَرسُمُ الطَّريقَ المختَصَرَ والآمِنَ والقَوِيَّ للتَّربِيَةِ والإصلاحِ، ولكنَّ الأمرَ يَحتَاجُ إلى تَوضِيحٍ وبيانٍ لِمَن لم يَستَطِعْ ذَلِكَ.

أَسأَلُ اللهَ الكريمَ بمَنِّهِ وفَضلِهِ أن يَجعَلَكُم مِمَّنْ يَسعَى في تحقيقِ القُوَّةِ والنَّجاحِ للأُمَّةِ، وأن يُحَقِّقَ على أيدِيكُم النَّصْرَ للإسلامِ والمسلمِينَ.

مُلْحَق (٥)

عَلَامَاتُ النَّجَاحِ في تَدَبُّرِ القُرْآنِ

كيفَ أَعرِفُ إنْ كُنتُ نَجَحْتُ في تَدبُّرِ القُرآنِ، أو لا؟ وما دَرَجَةُ نَجاحِي؟ وما تَقدِيرِي في هذه المادَّةِ العَمَلِيَّةِ من موادِّ الحياةِ التَّربَوِيَّةِ؟

الجوابُ: للنَّجاحِ في تدبُّرِ القُرآنِ علاماتٌ عِلمِيَّةٌ وعَمَلِيَّةٌ؛ مِنهَا:

- **المحافظةُ على تَحزِيبِ القُرآنِ مَهمَا كانتِ الظُّرُوفُ**، وألَّا يُقدِّمَ علَيهِ أيَّ عَمَلٍ مهمَا كَانَ.
- **التَّرَقِّي والصُّعُودُ في تَحزِيبِ القُرآنِ، حَتَّى يَصِلَ آخِرَ مُستَوًى، وهو أن يَختِمَ القُرآنَ**: حِفظًا، كُلَّ أسبوعٍ، في صلاةٍ، في لَيلٍ، بتَرتِيلٍ، وتَكرَارٍ وتَوَقُّفٍ، وجَهرٍ وتَغَنٍّ، وهذه هي المفاتيحُ السَّبعَةُ العَمَلِيَّةُ.
- **توارُدُ آياتِ القُرآنِ على القَلبِ آناءَ اللَّيلِ والنَّهارِ بعَفوِيَّةٍ وتِلْقَائِيَّةٍ، كما قالَ مُطَرِّفُ بنُ عَبدِ اللهِ**: «إنِّي

لَأَسْتَلْقِي مِنَ اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي؛ فَأَتَدَبَّرُ القُرْآنَ، وَأَعْرِضُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

▪ **تكوُّنُ مَلَكَةِ التَّفسِيرِ المَوضُوعِيِّ للقُرآنِ الكريم؛** وذلكَ بأن يَستَطِيعَ أن يَجمَعَ ذِهنِيًّا آياتِ كُلِّ مَوضُوعٍ يُرِيدُهُ ويَستَشْهِدَ بِهَا دُونَ عَنَاءٍ، وأن يُوجَدَ لَدَيهِ الانتباهُ الدَّقِيقُ لِمُفرَدَاتِ القُرآنِ الكريم، بحَيثُ يَحصُلُ لدَيهِ الرَّبطُ بَينَهَا بعَفْوِيَّةٍ وتِلقَائِيَّةٍ تَامَّةٍ، مَهمَا تَعَدَّدَتْ أو تَباعَدَتْ مَواضِعُهَا مِنَ القُرآنِ الكريمِ.

وإذا أُضِيفَ إلى تدبُّرِ القُرآنِ الكريم تَدَبُّرُ السُّنَّةِ، فإنَّ هذه المَلَكَةَ تَجمَعُ بينَ الآياتِ والأحاديثِ في آنٍ واحِدٍ.

ولا يُشتَرَطُ لتَحصِيلِ هذه المَلَكَةِ تَحصِيلُ علومِ الآلَةِ؛ بل يُمكِنُ أيَّ مُكثِرٍ لقراءةِ القُرآنِ والسُّنَّةِ مُتَدَبِّرٍ لَهُما امتِلَاكُهَا، وهذا مُشاهَدٌ عِندَ عَدَدٍ مِنَ العَوامِّ، وبعضِ الدُّعَاةِ.

▪ **أن يكونَ خُلُقُهُ القُرآنَ في كلِّ شَأنٍ مِن شُؤُونِ الحياةِ،** وأخلاقُ القُرآنِ كثيرةٌ وعظيمةٌ؛ فمِنها ما ذُكِرَ في أوَّلِ (سورةِ المؤمنُونَ)، وفي (سورةِ المعارِجِ)، والآيةِ: (٣٥) من

---

(١) رهبان الليل: (١/ ٣٦٤).

(سورةِ الأحزابِ)، وفي أوَّلِ (سورةِ البَقَرَةِ)، وفي آخِرِ (سورةِ الفُرقانِ)، وغيرُهَا كَثِيرٌ، وهي مطالبُ وأُمنِيَّاتٌ وأَهدَافٌ، تحقيقُ أيِّ واحدٍ مِنهَا يُعتَبَرُ إنجازًا عظيمًا وفَتْحًا مُبِينًا، **الكثيرُ مِنَّا يَتَمَنَّى الحُصُولَ على هَدَفِ:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، **وهَدَفِ:** ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، **وأن يكونَ مِنَ الَّذِينَ** ﴿...وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وغيرِهَا مِنَ الصِّفاتِ العظيمةِ الَّتي جاهَدَ الصَّالحُونَ في الوُصُولِ إلَيهَا، واجْتَهَدَ النَّاجِحُونَ في تحقيقِهَا.

إنَّ التَّدرِيبَ على مفاتيحِ تدبُّرِ القُرآنِ والسَّيرَ في طريقِهَا يُحقِّقُ لَكَ بعَونِ اللهِ تعالى كُلَّ ما تُرِيدُ من تِلكَ المكاسِبِ العظيمةِ من أخلاقِ القُرآنِ، **إلى أن تُوَصِّلَكَ إلى الهَدَفِ المَنشُودِ والغايةِ المقصودةِ:** ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

- **دعوةُ الآخَرِينَ للنَّجاحِ في تدبُّرِ القُرآنِ وخاصَّةً الأقرَبِينَ؛** لأنَّهُ لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّهُ لنَفسِهِ، فحَماسُهُ ونَشاطُهُ في دَعوةِ الآخَرِينَ عَلامَةٌ على أنَّهُ فِعلًا ذاقَ طَعْمَ النَّجاحِ، ويَتَمَنَّى لِأَهْلِهِ وإخوانِهِ ما وَجَدَ،

أمّا من لم يُحَصِّلْ هذهِ العلامةَ فنَجاحُهُ بالقُرآنِ غَيرُ مُؤَكَّدٍ.

وكُلٌّ مِن هذه العلاماتِ السِّتِّ لها مَراتِبُ ودرجاتٌ ومُستَوَيَاتٌ.



المُحتَويَات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الصَّفْحَة | المَوْضُوع

المَوْضوعُ | الصَّفْحَة

الموضوع الصفحة

المَوْضُوعُ | الصَّفْحَة